الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص سنة ثانية ماستر فلسفة الاتصال ونظريات الترجمة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة موسومة بـ:

النظرية الماركسية

- بحث في الأسس والمكونات -

من إعداد الطالبين:

* عقون سنوسي
* يعقوب أسامة

بإشراف الأستاذ:

مخلوف بشير

السنة الجامعية: 2014– 2015

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....(أ)

مدخل منـهـجي:

1/ تحديد الموضوع..... .....ص 03

2/ تحديد الإشكالية.....ص 03

3/ أسباب اختيار الموضوع.....ص 04

4/ نوع المقاربة.....ص 04

5/ تحديد المفاهيم.....ص 05

الفصل الأول: مصادر النظرية الماركسية

تمهيد:.....ص 07

المبحث الأول: الفلسفة الألمانية.....ص 08

المبحث الثاني: الاشتراكية الفرنسية الطوباوية.....ص 15

المبحث الثالث: الاقتصاد السياسي الانجليزي.....ص 20

خلاصة الفصل الأول.....ص 26

الفصل الثاني: أسس النظرية الماركسية

تمهيد:.....ص 28

المبحث الأول: المادية الفلسفية.....ص 29

المبحث الثاني: المنهج الجدلي.....ص 32

المبحث الثالث: التصور المادي للتاريخ.....ص 36

المبحث الرابع: الطبقات والصراع الطبقي.....ص 40

المبحث الخامس: الاغتراب.....ص 43

خلاصة الفصل الثاني.....ص 47

الفصل الثالث: الماركسية المحدثة

تمهيد:.....ص 49

المبحث الأول: نظرية رالف داندروف.....ص 50

المبحث الثاني: نظرية لويس كوزر.....ص 55

المبحث الثالث: نظرية فرانك باركن.....ص 59

خلاصة الفصل الثالث.....ص 62

خاتمة.....ص 63

قائمة المصادر والمراجع

مـقـدمـة

قد لا تثير كلمة فلسفة الترحيب لدى بعض الأشخاص فهي في نظر البعض لن تفيد من يعمل بعرق جبينه، لكننا سنقوم هنا بدراسة جانب من فلسفة تعد أكثر تطبيقا وعملية باعتبارها ترتبط بواقع العمال ألا وهي النظرية الماركسية، والتي هي بمثابة تصور شمولي للمجتمع في بنائه المورفولوجي، وتعبر عن خلفية معرفية وفكرية للفيلسوف الألماني "كارل ماركس" فهي تنفي النظام القائم وتستهدف إلغاء المجتمع المدني. ويرجع اهتمام النظرية الماركسية بالواقع الفعلي للإنسان إلى عاملين:

1/ اعتبار وفاة "هيغل" وفاة للفلسفة ولابد من اتخاذ مبدأ الوجود الإنساني كوسيلة للتنظير، وقد أكد "ماركس" على ضرورة التوفيق بين النظرية والممارسة لتغيير الواقع الاجتماعي.[1]

2/ تحرر العقل الإنساني من سيطرة "الأكليروس" وانتشار مناخ التفكير العقلي الذي تطور خصوصا على يد "هيغل" الذي بجل العقل الإنساني واحتفى به.

اتخذ "ماركس" موقفا من كافة الأنساق الفكرية التي عايشها فقد أكد على النظرة الشمولية في مقاربة المجتمع والتاريخ ففي نظره ليس هناك علم مستقل بذاته كعلم الاجتماع أوعلم الاقتصاد.

[1] علي ليلى، النظرية الاجتماعية المعاصرة: الأنساق الكلاسيكية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2004، ص 37.

ينكر "ماركس" الفلسفة وعلم الاجتماع ليس لذاتهما بل لأن بناء المعرفة العلمية يتطلب عدم الفصل بين العلوم،بل يتطلب تكوين نظرة كلية ووعيا بمنهج عملي يستهدف تغيير العالم وهذا المنهج الواعي يستلزم ثلاثة مقولات أساسية وهي:

1/ أن تمتاز الحقيقة بالطابع الفلسفي لأن الفلسفة تتضمن الحقيقة المطلقة بغض النظرعن الطرق المؤدية للحقيقة (المناهج التجريبية) التي تتباين وبالتالي تنبثق عنها حقيقة نسبية.

2/ إتباع منهج إمبريقي لدراسة الطبيعة والمجتمع والتاريخ انطلاقا من مقدمات هي الواقع المادي للأفراد.

3/ الجمع بين الأطر النظرية والممارسة الفعلية لبلوغ الصورة الشاملة عن المجتمع.

والحصيلة هي أنه يجب انتهاج دراسة إمبريقية لفهم الواقع ومن ثم التنظير لمجتمع جديد من خلال نقد الأوضاع السائدة.

وقد قمنا نحن طلبة الفلسفة بدراسة النظرية الماركسية محاولين مقاربتها من خلال التطرق إلى ثلاثة فصول رئيسية : تناولنا في الفصل الأول أهم روافد النظرية الماركسية و ركزنا في الفصل الثاني على دراسة ملامح النظرية أما في الفصل الثالث فقد عرضنا ثلاثة نظريات تندرج ضمن الماركسية المحدثة.

1/ تحديد الموضوع:

يندرج عملنا البحثي ضمن موضوع يعد من أكثر المواضيع جدلا في الأوساط العلمية والفكرية والاقتصادية والسياسية والذي يدور حول الفكر الماركسي الذي قسم العالم إلى معسكرين وصاغ معالم نظام من شأنه تحقيق العدالة الاجتماعية في ظل تطور الأنظمة السياسية والاقتصادية التي شهدتها الدول عبر التاريخ،وصار فكرا يعنى بالطابع اليساري والمعارض للحزب الحاكم في الدول الغربية على غرار فرنسا وبريطانيا،وبالتالي فلابد لنا من تسليط الضوء على الأطر النظرية للمذهب الذي أسسه "كارل ماكس" واعتبره دستورا للعمال اللذين عانوا منذ فجر التاريخ من التهميش والإقصاء، وانبثقت عن هذا المذهب فلسفة ثورية تعنى بالنظرية الماركسية.

2/ تحديد الإشكالية:

النظرية الماركسية وليدة ظروف موضوعية معينة وكل نظرية فلسفية تعبر عن تصور للمجتمع والتاريخ، وتتضمن مقاربة فلسفية لمختلف مواضيع الفكر البشري، والنظرية الماركسية هي نظرية شمولية تعزى إلى الخلفية الفكرية والثقافية التي نشأ "ماركس" في ظلها ولكل نظرية منطلقاتها ومنهجها وآفاقها والإشكالية المطروحة في هذا الصدد هي كالتالي:

- فيم تكمن الجذور الفكرية للنظرية الماركسية وماهي أسسها الفلسفية؟
- ما محل مفهوم الصراع لدى الماركسيين المحدثين؟

3/ أسباب اختيار الموضوع:

أ- أسباب ذاتية: للفكر الماركسي مرجعيات فكرية عديدة وهو نتاج تراكم معرفي وفلسفي،وإذا أردنا دراسة ملامحه وتجلياته فلابد من التطرق إلى تاريخ الفلسفة التي سبقت "ماركس" وما صاحبها من تطور في مجال العلوم الطبيعية،وبالتالي سنربط معارفنا السابقة بمعارف أخرى جديدة باعتبارنا سنقوم بالتعرف على مفكرين ومنظرين لهم بصماتهم في الفكر البشري عبر التاريخ.

ب- أسباب موضوعية: لفهم تصورات النظرية الماركسية المحدثة لابد من الرجوع إلى النظرية الماركسية الكلاسيكية بغية بناء معرفة متكاملة حول الفكر الماركسي ككل.

4/ نوع المقاربة:

لكل بحث علمي مداخله النظرية وقد استخدمنا في بحثنا المقاربة الفلسفية فقد قمنا بدراسة تاريخ الفكر الماركسي إبتداءا من جذوره المعرفية إلى غاية بلوغ مرحلة الماركسية المحدثة،ومن الأدوات البحثية التي وظفناها هي المقارنة بين المذاهب الفلسفية من أجل تكوين وعي بالإيديولوجيات المؤسسة.

5/ تحديد المفاهيم:

النظرية: هي المضاربة المفتوحة للتأويلات، أوهي المقاربة المبنية على جملة من التصورات.

الاشتراكية: مذهب اقتصادي واجتماعي وسياسي يتميز برفضه للملكية الفردية لوسائل الإنتاج.

Marxisme : doctrine philosophique politique et économique issue de Marx, fondée sur le matérialisme et la lutte des classes.

Dictionnaire « Larousse »

الطوباوية: هي التصورات الفلسفية ذات الطابع الخيالي التي تستهدف التنظير للمجتمع.

الجدل: التناقض.

اليوتوبيا: جزيرة أسطورية من تأسيس المفكر "ادوارد مور" والذي يعتبرها صرحا لإقامة مجتمع تسوده القيم المثالية.

تمهيد:

النظرية الماركسية ككل نظرية فلسفية هي نتاج عصر تاريخي حافل بالمستجدات والوقائع أي أنها حصيلة فكرية اقترنت بالتطور التراكمي للعلم والمعرفة فـ"كارل ماركس" قد درس بعبقرية التيارات الفكرية الثلاث في القرن التاسع عشر وتشبع بها والتي تعزى إلى الأمم الأكثر تقدما في العالم والمتجسدة في: الفلسفة الألمانية – الاشتراكية الفرنسية و الاقتصاد السياسي الانجليزي.

المبحث الأول: الفلسفة الألمانية

(ينظر البعض إلى "هيغل" نظرتهم إلى كلب ميت

أما أنا فلا أخفي كوني تلميذا لهذا الفيلسوف العظيم)

"كارل ماركس"

يعتبر الفكر الماركسي امتدادا للفلسفة الألمانية فبالرجوع إلى تاريخ الفلسفة نكتشف بأن المنظر الألماني " هيغل" قد عاصر الثورة الفرنسية التي قامت سنة 1789 ونشرت الأفكار الحرة وغيرت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وصارت مشعلا لحقوق الإنسان وإلهاما لكل حراك سياسي واجتماعي من شأنه بناء دولة ومجتمع رصينين[1]، وقد خطط "هيغل" لثورة فكرية تحاكي نوعا ما تلك الثورة التي شهدها الفرنسيون في واقعهم المعاش، والتي أسهمت بالدرجة الأولى في نسف النظام الإقطاعي الذي اعتبر في وقت مضى نظاما أزليا، ومن خلال هذا الحدث التاريخي العظيم استلهم "هيغل" فكرة "الجدلية" باعتبار أن التاريخ عبارة عن صراع جملة من الأفكار المتناقضة وقد طمح البرجوازيون الألمان إلى تحقيق ما أنجزه نظراؤهم الفرنسيون في ظل التقسيم الذي شهدته ألمانيا نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر والذي صاحبه تنامي النظام الإقطاعي، لكنهم منيوا بالفشل الذي يعزى إلى نهلهم من الفلسفة الهيغلية التي كانت محاطة بغلاف مثالي، باعتبار أن التوجه المثالي يعبر عن عجز موضوعي وكان الفكر الهيغلي بمثابة إجهاض ضخم على حد تعبير "انجلز" وبالتالي لم تترجم الثورة في الواقع.

[1] هربرت ماركيوز، العقل والثورة، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2008، ص 31.

المطلب الأول: فلسفة التاريخ عند هيغل

يرى "هيغل" أن التاريخ ليس إلا تفتحا للفكر الكوني وانبساطه في الزمان و فلسفة التاريخ هي التاريخ منظورا إليه بذكاء والعقل حسبه يحكم العالم[1] يقول "هيغل" بأن الفكر ينبغي أن يحتكم للمعطى الواقعي ومن الضروري البرهنة على قوانين التاريخ استنادا إلى الوقائع وهكذا يغدو التاريخ ذا طابع تجريبي، وتفسير الواقع بدقة يستلزم التنظير المؤسس للتصورات من أجل صياغة قوانين تفسر مجرى التاريخ وهي تعرف باسم المقولات[2].

في ظل القرن الثامن عشر كان النظام الاجتماعي سيئا إلى درجة أن الطبقة الوسطى وظفت مفهوم التقدم كمعيار لتفسير تاريخ البشرية وآن الأوان لتتخذ هذه الطبقة مقعدها في الحكم وبمجرد حدوث ذلك سوف تصوغ عالما وفق فلسفتها من خلال جعل الإنسان مركزا لهذا العالم[3] ،فالفكر التقدمي يعد من مخلفات عصر التنوير الفرنسي الذي يرى الوقائع التاريخية بمثابة تطورات تقود إلى تحرر الإنسان وتوظيفه المطلق لعقله ويرى "هيغل" أن التاريخ يبلغ هدفه عندما يطابق المضمون الواقعي مضمون الفكر أما الحرية فهي الغاية النهائية للوقائع التاريخية وهو يقرنها بالملكية الحرة. الإنسان جزء من الطبيعة وميوله ودوافعه الغريزية تقوم بدورها الوظيفي في صناعة التاريخ فالإنسان على حد تعبير "ابن خلدون" هو ابن بيئته وانتماؤه للأمة يكسبه روح العصبية[4] والولاء ولابد له من أن يسهم في المصير المشترك لمجتمعه.

[1] بليخانوف، فلسفة التاريخ: المفهوم المادي للتاريخ، ص 42 (WWW.BOOKS STREAM.COM).
[2] المقولات العامة: هي التصورات الأساسية للجدل والتي يتخذها "ماركس" فيما بعد كقوانين لتفسير الطبيعة والتاريخ والمجتمع.
[3] هربرت ماركيوز، العقل والثورة، مرجع سابق ص 236.
[4] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب المقدمة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2000، ص 37.

يتمثل مضمون التاريخ حسب "هيغل" في كيانات الدولة والأمة والمجتمع الإقطاعي والطبقة العاملة والطبقة الوسطى أما صانعوه فهم عظام التاريخ على غرار "الإسكندر المقدوني" و"نابليون" ويعتبر "هيغل" أن الروح العالمية هي المحرك الرئيسي للتاريخ فالانتقال من الحضارة الشرقية إلى حضارة العالم اليوناني وظهور الإقطاع وإقامة المجتمع البرجوازي هي تغيرات نتجت عن قوى تاريخية موضوعية ويؤكد على أن الإنسان في التاريخ لم يكن واعيا بل القوة الإلهية للروح العالمية تجسدت في قوة موضوعية وتحكمت في الناس وبالتالي فالإنسان ليس صانعا للتاريخ وباعتبار أن الروح العالمية لم تجلب غير الدمار والخراب إلا أن الإنسان قد قاوم هذه القوة وضحى من أجل بلوغ السعادة والاستقرار ويوظف "هيغل" مفهوم "دهاء العقل"[1] للإحالة على فكرة أن الإنسان يستنفر طاقاته الذاتية ويوجهها من أجل خدمة تطلعاته وإن أخفق فإن أفكاره ستظل خالدة.

فكرة الروح العالمية تجد لنفسها مكانا في الدولة باعتبارها تصون الحريات وفي ظلها يصاغ التاريخ.

[1] هربرت ماركيوز، العقل والثورة، مرجع سابق ص 243.

المطلب الثاني: مادية فيورباخ

لقد حرص رعيل الفلاسفة البرجوازيين الذين برزوا بعد ممات "هيغل" سنة 1831 على الاستناد في ثورتهم ضد الطبقية على منطلقات فكرية مادية تجلت في مذهب "لودفيغ فيورباخ" الذي أحيا مفهوم المادية واعتبر مرجعا لكل من "ماركس" و "انجلز" وأثر فيهما تأثيرا برز في كتاباتهما، لكن نزعة "فيورباخ" المادية آلت إلى الطابع الميكانيكي، فهو يرى أن الإنسان ثمرة للطبيعة ويستثني دوره في تسخير الطبيعة لصالح أغراضه، ولا يعتبره أساسا لتكوين المجتمع البشري، وما يؤاخذ عليه "فيورباخ" هو افتقاره إلى تفسير علمي للتاريخ بل أضفى على التاريخ صبغة مثالية واستعاض بديانة غامضة[1] تقوم على الحب لتعليل الأحداث التاريخية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قصور برجوازي ألمانيا عن دحر الإقطاعيين سنة 1948، وقد عكف "ماركس" على صقل فلسفة علمية انطلاقا من صياغة مفهوم المادية الجدلية والتي تجاوزت: الإطار المثالي لفلسفة "هيغل" الجدلية و النزعة الميكانيكية التي تنسب إلى "فيورباخ" وقد كشف "ماركس" النقاب عن المادية الجدلية لأول مرة في مؤلفه الموسوم بـ"أفكار حول فيورباخ" والذي كتبه سنة 1845، وفي ثنايا هاته الكتابات تكمن فكرة أن هناك نقلة نوعية تم بمقتضاها الانتقال من الفلسفة الألمانية الكلاسيكية إلى الماركسية.

[1] جورج بوليتزر وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، الجزء الأول، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ب ت، ص 266.

المطلب الثالث: العلاقة بين ماركس وهيغل

"ماركس" يقلب الجدل "الهيغلي" رأسا على عقب: عبارة لطالما ترددت على ألسنة الماركسيين وكتاباتهم،والذين لم يفقهوا المغزى من مقصود "ماركس" من هاته المقولة فالتباين بين فكري الفيلسوفين يتمثل بالدرجة الأولى في نظرتيهما إلى الكون وبالأحرى إلى علاقة الفكر بالوجود[1]، وأيهما أسبق، فـ" هيغل" يرى أن الفكر أساس للوجود ويعتبره الماهية الخالصة للواقع لكن "ماركس" يرفض هذه النظرة المثالية ويؤكد على أن الوجود والطبيعة هما الشرط الأساسي لنشأة الفكر البشري، لكنهما يتفقان على شيء جوهري وهو إتباع المنهج الجدلي في مجال الفلسفة للتمكن من دراسة العالم دراسة دقيقة تؤول بنتائجها إلى اليقين ومن ثم رفض المنهج الميتافيزيقي، ويوعز "انجلز" سبب انفصاله بمعية "ماركس" عن الفلسفة الهيغلية إلى النزعة المادية التي تشبعا بها والمتناقضة مع التصور المثالي للعالم في حين أنهما لم يتخليا عن الجانب المهم في فلسفة "هيغل" ألا وهو "الجدل" وتكمن عبقرية "ماركس" في إحيائه للتراث الجدلي الهيغلي وتطبيقه في مجال علم تجريبي عرف باسم "الاقتصاد السياسي" وقد قال "انجلز" في هذا الصدد:"هيغل لم يستبعد تماما بل على العكس لقد اتخذنا نقطة البدء من الجانب الثوري في فلسفته وأعني به منهجه الجدلي"[2].

الجانب الأكثر عرضة للنقد الماركسي هو الجانب المثالي لفلسفة "هيغل" والذي أصطلح عليه اسم "الإطار المثالي" أو "الغلاف الصوفي" الذي يميز المذهب الهيغلي ويرى أنه من الضروري إزاحة هذا الإطار حتى تظهر "النواة العقلية" بوضوح و التي يقصد بها

[1] إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلي عند هيغل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3 ،2007، ص 303.
[2] نفس المرجع ص 305.

المنهج الجدلي للتمكن من إسقاطها على علم الاقتصاد وعلم التاريخ،ويقوم المذهب " الهيغلي" على جملة من المفاهيم والتي اتخذها "ماركس" فيما بعد قوانينا جدلية تحكم سير الوجود الإنساني.

المطلب الرابع: قوانين الجدل

اختصرت مقولات الجدل الهيغلي[1] في القوانين التالية:

1/ التغير الكمي:

العالم محكوم بقانون التغير، والتغير الكمي يؤول إلى تغير كيفي وانتقال الشيء من حالة إلى حالة هو طفرة في مجال التطور والطفرة تعنى بأنها تغير جذري للشيء فالثورة المعلوماتية التي شهدها القرن الواحد والعشرون هي تحصيل حاصل لعنصر التراكم المعرفي،وقد طبق "ماركس" هذا القانون في علم الاقتصاد عند تحليله لـ"رأس المال" وفائض القيمة، فرأى بوضوح كيف للتغيرات الكمية أن تحدث تغيرات كيفية.

2/ صراع الأضداد:

العالم تحكمه الحركة التي أساسها التناقض بين الأشياء وهذه الأخيرة تتحرك بفعل عنصر التناقض الذي يميز أجزاءها فحتى الحركات الآلية لا تتم إلا من خلال التضاد، وبالرجوع إلى الذرة نكتشف أنها تتكون من ضدين فالنواة تحوي "نيترونات" موجبة وأخرى

[1] عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث العلمي في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 2010، ص ص 186- 187.

سالبة والتناقض يسود أيضا المعرفة البشرية باعتبار أن الذات الدارسة تقوم بتوظيف أدوات كالاستقراء والاستنتاج والتركيب والتحليل بغية دراسة الظاهرة الواحدة.

3/ نفي النفي:

التطور يحكمه عنصر النفي فكل مرحلة راهنة تعتبر نفيا لمرحلة سابقة وهكذا، وفي هذا المقام نستحضر مصطلحا أسسه "هيغل" وهو "التجاوز"[1] حيث يلغى الشيء ويحتفظ به في نفس الآن، حيث يكون النفي جدليا عندما تنفي مرحلة لاحقة مرحلة سابقة لكن مع الحفاظ على بعض السمات الجوهرية للمرحلة السابقة وهاته النظرة يمكن إسقاطها على الطبيعة والمجتمع والتاريخ و"نفي النفي" حاضر في مملكتي الإنسان والحيوان أيضا، وهذا القانون يحيلنا على الإشكالية الإبستمولوجية القائلة بأن العلم تحكمه خاصيتا التراكم أو القطيعة، وهذه الأخيرة تعنى بنفي الحقائق المتوصل إليها في الماضي، ليفسح المجال لنظريات أخرى جديدة تحل محلها، وهناك مثال صريح جامع: حيث أن الإنسان يمر بمراحل عمرية فالطفولة تليها المراهقة وتنفيها وبعدها تأتي مرحلة الشباب فتنفي سن المراهقة وهكذا فالسن يتغير تغيرا كميا يؤدي في نهاية المطاف إلى تغير كيفي يتمثل في التحول من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة والشاب نفسه يعيش مع الأضداد فتارة يقوم بفعل معين بإيعاز من العقل الواعي وتارة أخرى يقوم بفعل مناقض تماما بإيعاز من العقل اللاواعي (الباطن) في لحظة زمنية معينة.

[1] إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلي عند هيغل، مرجع سابق ص 311.

المبحث الثاني: الاشتراكية الفرنسية الطوباوية

يعد "الفكر الاشتراكي الفرنسي" مصدرا من مصادر "الفكر الاشتراكي الماركسي" إذ يقول "انجلز" في هذا الصدد: "كان على الاشتراكية الحديثة ككل نظرية جديدة أن ترجع لأفكار سابقيها المباشرين، وإن كانت جذورها في الواقع تنبت في أرض الوقائع الاقتصادية"[1]، إذن من الضروري البحث عن جذور الاشتراكية الحديثة في نزعة الفلاسفة الفرنسيين المادية بغض النظر عن عدم كونهم اشتراكيين ومن أمثال هؤلاء: (هلفيتيوس) و(هولباخ) والذين تلخصت فلسفتهم في الإشارة إلى طيبة الإنسان الطبيعية وجبروت التجربة و العادة والتربية وتأثير البيئة الطبيعية"[2] وكل هذه المبادئ لها علاقة بالفكر الشيوعي الاشتراكي وخلاصة القول هي أنه إذا كان الإنسان يتكون بتأثير الظروف فيجب تكوين الظروف بصورة إنسانية على حد قول "ماركس" وقد كان "جراشوس بابوف" الذي كرس حياته للشيوعية مناصرا لفلاسفة القرن الثامن عشر وهناك "الفلاسفة الخياليون" الذين سبقوا "ماركس" ومنهم "سان سيمون" 1760-1825 و"شارل فوريه" 1772-1837 الفرنسيان اللذان تقمصا نزعة القرن الثامن عشر تقمصا قويا ويمكن القول بأن الاشتراكية التي سبقت "ماركس" لم تكن ذات طابع علمي بل ذات طابع خيالي محض حيث تعد "الاشتراكية الفرنسية" أكبر ممثل لها والتي يندرج ضمنها "المذهب الفوضوي".

[1] جورج بوليتزر وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، مرجع سابق ص 269.
[2] نفس المرجع ص 268.

المطلب الأول: المذهب الفوضوي

تحيل "الفوضوية – **L'anarchisme**"[1] غالبا على انعدام النظام أو الفوضى وللفوضويين صورة يظهرون فيها مشاغبين عنيفين أو من دعاة التخريب،و"الفوضوية" تعني نهاية الحكومة، لكن هذا لا يعني لأنصارها انحدارا نحو الفوضى بمعناها المعروف بل تعني العيش في ظل حياة ملؤها الوئام والانسجام،لا تحكمهم الأوامر وإنما يحكمهم الانضباط الذاتي. يقوم "الموقف الفوضوي" على إنكار شرعية الحكومة ليتمكن كل شخص عامل من إدارة شؤونه بنفسه واتخاذ قراراته الشخصية، في حين أن الليبرالي يحتاج إلى نوع من الحكومة من أجل حماية ممتلكاته وتتمثل أطروحة "الفوضوي" في أن أي سلطة ممنوحة للدولة من شأنها تقويض حرية الأفراد.والجدير بالاهتمام أن "الفوضوية" نعمت بازدهار أثناء "الثورة الروسية"، ولقد اختلف "الماكنوفيون الفوضويون" مع "البلاشفة الشيوعيين" حول ضرورة إقامة دولة اشتراكية مركزية، والمفارقة العجيبة هي أن الشيوعية كانت تحلم دائما بأن تكون دولة قوية مؤقتا وأن تتلاشى بعدها حالما يستقر النظام،لكن "الماكنوفيين" اعتبروا أن هذا خيالا وأن هؤلاء لن يغادروا دواليب الحكم بعد استلامهم لها، وقد كانوا على حق إلى حد بعيد.

في نظر "الفوضويين" غياب الدولة صيانة لحريات الأفراد،حيث ينبثق التنظيم الاجتماعي من الأدنى إلى الأعلى بدلا من فرضه من القمة إلى الأسفل،وهم يطالبون برحيل الدولة فإذا غابت الدولة غابت الملكية الخاصة،رغم أن هناك صعوبات عملية وفلسفية حيث

[1] جوليان باجيني، الفلسفة، ترجمة أديب يوسف شيش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط 1، 2010، ص ص 258-262.

أن غياب الدولة يعني عدم دفع الضريبة التي من شأنها تأمين العناية الصحية للجميع، إضافة إلى شيوع العصابات والحروب، لكن أنصار الحرية من " الفوضويين" لا يطالبون برحيل الدولة وإنما بتشكيل دولة مصغرة تسهر على القيام بالوظائف الضرورية فقط لخدمة الحرية الفردية. ومن التراث "الفوضوي" استلهم "الفكر الاشتراكي" نظرية إلغاء الدولة حيث يرى"لينين" بأن الدولة مقبرة كل إبداع في دعوة صريحة منه إلى إلغاء كيان الدولة.

المطلب الثاني: سان سيمون وفوورييه

بالتطرق إلى تاريخ "الاشتراكية الخيالية"[1] نكتشف بأنها تبلورت في أحضان النظام الرأسمالي وتناقضاته فقد احتد الصراع بين "البرجوازية" وغريمتها "الإقطاعية" وكان شعار "البرجوازية" النضال باسم الحرية والأخوة وباعتبار أن فلسفة النظام الرأسمالي تقوم على استغلال العمال فقد نشأت إقطاعيات جديدة عرفت بإقطاعيات المال التي سخرت للبرجوازية الحاكمة السلطة والترف على حساب شقاء "الجماهير الكادحة" وكانت مهمة "الفكر الاشتراكي" التشهير بهذا الوضع الذي اعتبره "البرجوازيون" طبيعيا لكونه يضمن نمو الصناعة، ولهذا انتقد "الفلاسفة الخياليون" هذا النظام الذي قال عنه "فوورييه" بأنه يولد فيه الفقر من الازدهار نفسه ويبين "سان سيمون" كيفية نمو الإنتاج باستبدادية خلال نضال مرير من طرف الصناعيين حتى يولد أعظم الآلام للكادحين وكان يعتقد بأن نمو الصناعة يجلب السعادة للإنسانية ولهذا وصف فضائل تنظيم الإنتاج تنظيما عقلانيا على يد رجال تشاركوا لاستغلال الطبيعة معا، وهكذا يزول استغلال الإنسان لأخيه الإنسان فننتقل من حكومة الناس إلى إدارة الأشياء.

[1] جورج بوليتزر وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، مرجع سابق ص 269.

ولقد درس "فورييه" أزمات الرأسمالية وحارب نتائج المضاربة التي تحمل الخراب وشهر بمساوئ الاحتكار ولما كان من دعاة فكرة "المساواة" بين الرجل والمرأة فقد قام باستغلال الوضع من أجل انتقاد ما تقوم به "الرأسمالية" من استغلال في حق النساء العاملات، وهو يرى في الدولة المدافع الأول عن مصالح الطبقة الحاكمة كما أشار إلى أن "البرجوازية" برجوعها إلى تعاليم الدين المسيحي - الذي عادته سابقا - قامت بنشر "الأفكار الأخلاقية" الداعية إلى الخضوع والاستسلام ،وهو يدعو إلى التعاون من أجل تجاوز هذه المرحلة فيشترك المالكون في ممتلكاتهم وعملهم ونبوغهم وينتظمون في طوائف صغيرة للإنتاج تضمن للإنسانية إمكانية ازدهار منسجم وهكذا يزول الأجر. وتعمل المنافسة للرقي بالصالح العام وتفتح مراكز العمل الكبرى التي تستخرج خيرات الكرة الأرضية.

المطلب الثالث: انتكاسة الفوضويين

ناضل "الفلاسفة الخياليون" من أجل سعادة البشرية فهم بذلك يحتلون مكانة سامية في تاريخ الاشتراكية، ورغم أنهم يظهرون مشاغبين وعنيفين إلا أنهم طمحوا إلى تحقيق مجتمع مثالي[1] ولقد عاش هؤلاء في الفترات الأولى لظهور الرأسمالية التي بدأت تناقضاتها تظهر فنشأت الفوضى في الإنتاج وزاد بؤس الجماهير، وفتوة النظام الرأسمالي جعلته قويا بحيث لا يمكن أن تخرج من طياته قوة كفيلة بتأسيس نظام اشتراكي وإنما قوة مستغلة هي طبقة "البروليتاريا" وقد كانت هذه الأخيرة قليلة العدد وضعيفة جزأتها المضاربة وكان نضالها الطبقي ضد "البرجوازية" لا يزال ضعيفا والذي آل في نهاية المطاف إلى تحقيق

[1] جوليان باجيني، الفلسفة، مرجع سابق ص 258.

مطالب مباشرة فقط تتعلق أساسا بتخفيض ساعات العمل[1] ونقصتها أيضا وجهات نظر ذات أفق بعيد. وكانت "البروليتاريا" سياسيا تحت وصاية "البرجوازية" والتي كانت تستخدمها فرنسا في نضالها ضد بقايا الإقطاع وهكذا ساعد "البروليتاريون" سنة 1830 "البرجوازية" لطرد "آل بورون" ليحل محلهم ملك "برجوازي" هو "لويس فيليب" وحدث كل هذا أمام ترقب "الفلاسفة الخياليين" الذين يترقبون الوضع عن كثب بتألم وحسرة شديدين وبما أن هؤلاء لم يجدوا الوسائل الموضوعية للقضاء على عذاب "البروليتاريا" فلم يكن أمامهم سوى وضع مشروع فكري فاستوحوا من أدمغتهم وصفا تاما لمجتمع كامل قارنوه بالواقع المحزن، وبجهلهم لقانون تطور المجتمع الرأسمالي لم يكتشفوا العلاقة بين الواقع وبين ما يحلمون به وبالتالي وصفت فلسفتهم الاشتراكية بالطابع الخيالي ولهذا كانوا مثاليين والفرق بين هؤلاء وبين "ماركس" هو أن هذا الأخير تجاوز النزعة المثالية وعول على النزعة العلمية ونوه بالنزعة المادية التاريخية وعلم المجتمعات لتغيير الواقع الذي تعيشه "البروليتاريا".

[1] جورج بوليتزر وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، مرجع سابق ص 272.

المبحث الثالث:الاقتصاد السياسي الإنجليزي

المطلب الأول: تعريف علم الاقتصاد

يطلق اسم علم على كل بحث يمتاز بثلاثة عناصر أساسية هي: الموضوع والمنهج والنتائج وقد استخدم اللغويون العرب في القدم كلمة "اقتصاد" المشتقة من قصد واقتصد ويقال: اقتصد في النفقة أي توسط بين التقتير والتبذير، وطريق قصد معناه طريق مستقيم وفلان على قصد أي على رشد والاقتصاد حسب "جاك وولف " هو علم الثروة[1] بتعريف مختصر.

المطلب الثاني: الجذور التاريخية لعلم الاقتصاد

يقال أن "أنطوان دو مونترتيان" الفرنسي هو أول من استخدم مصطلح الاقتصاد السياسي سنة 1615 في مؤلفه الموسوم بـ "شرح الاقتصاد السياسي" وأضفى عليه صفة السياسي لانشغالات شخصية يتطلع منها إلى علم جديد هو فن الحصول على إيرادات الدولة[2]، واستخدم كل من "ماركس" وزميله "انجلز" المصطلح ذاته في المؤلف الموسوم بـ"نقد الاقتصاد السياسي" وتخفيفا لحدة الصراع الإيديولوجي استخدم بعض المتعاطفين مع الطبقات المحرومة تسمية "علم الاقتصاد الاجتماعي" حيث ارتبط مفهوم توزيع الثروة في المجتمع بعلم الأخلاق من خلال دراسة أفضل الوسائل للإنتاج والثمن العادل[3]،

مع أن هناك من يسقط عنه صفة السياسي بدعوى أن الاهتمام في الأخير منصب على الفرد.

[1] السيد محمد بدوي، علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2004، ص 13.
[2] عبد الله ساقور، الاقتصاد السياسي، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة - الجزائر، 2004، ص ص 13- 14.
[3] نفس المرجع ص 11.

المطلب الثالث: أهمية علم الاقتصاد السياسي

تكمن أهمية علم الاقتصاد السياسي في دراسة القوانين التي تحكم العلاقات بين الناس أثناء إنتاج الثروة وشروط تطورها وتبادلها على مر التاريخ وفق دراسة متكاملة لعمليات الإنتاج والتبادل والتوزيع والاستهلاك في المجتمع (الهيكل الاقتصادي)، ويقوم الاقتصاد السياسي بتحليل الهيكل الاقتصادي للمجتمع وتمفصلات عناصره وتداخلها ببعضها البعض من أجل فقه العلاقات الاجتماعية الناتجة عنه.ويفرض الهيكل الاقتصادي على الدارس الاقتصادي مشكلات أو أسئلة معينة يكون محورها الوقائع الاقتصادية ومجالها الواقع الاجتماعي وما يترتب عنه من انعكاسات.

المطلب الرابع: قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج وأساليب الإنتاج

تستند عملية الإنتاج إلى شروط إنسانية هي قوة العمل البشرية ومدى قدرتها على تسخير وسائل الإنتاج فتطور هذه الأخيرة يزيد من مدى قوة العمل البشرية ثم إن عملية الإنتاج تفرض بالضرورة وجود علاقات معينة بين الأفراد تتحدد حسب معايير[1] فاحتكار وسائل الإنتاج من طرف فئة معينة يفرض على فئات أخرى العمل عند مالكي وسائل الإنتاج بأجور محددة وفي ظل ظروف محددة ليس للعمال دخل في اختيارها وبالتالي تتحكم قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في سير التطور الاقتصادي والاجتماعي، فأسلوب الإنتاج هو تلك الوحدة التي تجمع بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج المرتبطة بها والقائمة على نوع معين

[1] نفس المرجع السابق ص ص 25- 26.

من ملكية وسائل الإنتاج، وتتباين أساليب الإنتاج بين الأسلوب البدائي والعبودي والإقطاعي والرأسمالي والاشتراكي وأسلوب الإنتاج لدولة واحدة بنظامين.

المطلب الخامس: الليبرالية الصناعية

أسس العلماء البريطانيون بمعية العلماء الفرنسيين إبان القرن الثامن عشر مدرسة اقتصادية عرفت باسم "المدرسة الكلاسيكية" ومن روادها:

1/ آدم سميث:

شغل منصب أستاذ المنطق في جامعة "غلاسكو" الاسكتلندية وألف كتاب "ثروة الأمم"[1] الذي يجمع أفكاره الفلسفية التي تنشد الحرية الاقتصادية،و تقوم أطروحته الاقتصادية على أساس بسيكولوجي ألا وهو تحقيق المصلحة الشخصية ويعتبر وعي الأفراد وعيا بمصالحهم الشخصية فيجب تحرير الأفراد ليحققوا أغراضهم وهو صاحب مقولة "دعه يعمل دعه يمر" ومن جملة المبادئ الليبرالية[2]:

- العمل بكافة أنواعه يعتبر أساسا لثروة الأمم.
- الأفراد توجههم المصلحة الفردية.
- من الخطأ تدخل الدولة في الأمور الاقتصادية أو وضع القيود على التجارة.
- من الضروري تقسيم العمل.

[1] روبرت هيلبرونر، قادة الفكر الاقتصادي، ترجمة راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2002، ص 55.
[2] نفس المرجع ص 76.

2/ دافيد ريكاردو ذو النزعة التشاؤمية[1] :

ينحدر من أسرة يهودية إسبانية وعرف عنه دقة تفكيره وعبقريته في التحليل المنطقي، اشتغل في شركة والده وبعدها انفصل عنه ليعتنق المسيحية وتزوج من امرأة تنحدر من جماعة "الكويكرز" وأسس شركة خاصة به درت عليه ثروة طائلة وهو في سن الخامسة والثلاثين، يعتبر مؤسس الفكر الاقتصادي الحديث وألف كتاب "الاقتصاد السياسي والضرائب" من أهم نظرياته[2]:

- أن الريع يميل إلى الزيادة بمرور الزمن.
- قيمة الشيء تتحدد بنفقة الإنتاج على أساس العمل.
- نظريته في الأجور التي تقول بأن زيادة الجنس البشري بنسبة أكبر من نسبة الزيادة في المواد الغذائية والنتيجة تساوي الأجر مع الحد الأدنى اللازم للمعيشة.

أسهمت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في القرن التاسع عشر في دفع عجلة الاقتصاد خصوصا في إنجلترا حيث مهدت البرجوازية الإنجليزية لنقلة نوعية في مجال الصناعة التي آلت إلى الصناعة الآلية بعد أن كانت يدوية وبالتالي تعاظمت نسبة الإنتاج التي أسست بدورها للنظام الرأسمالي وهذه الظروف بلورت مفهوم الاقتصاد السياسي والذي يعرف على أنه علم القوانين التي تسيطر على الإنتاج وتبادل الوسائل المادية للمعيشة في المجتمع الإنساني.[3]

[1] النزعة التشاؤمية لدى "ريكاردو" تتمثل في أن القوانين الاقتصادية تتخللها التناقضات مما يدعو إلى القلق وعدم الاطمئنان الاجتماعي.
[2] عبد الله ساقور، الاقتصاد السياسي، مرجع سابق ص 108 .
[3] جورج بوليتزر وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، مرجع سابق ص 267.

ويعود الفضل في التنظير لمفهوم القيمة والعمل إلى إسهامات عالما الاقتصاد الانجليزي "أدم سميث" و"دافيد ريكاردو" في حين أنهما لم يتمكنا من فقه العلاقات الموضوعية التي تربط رب العمل بالعامل وغفلا عن فكرة أن قيمة السلعة مرهونة بمقدار الوقت اللازم لتصنيعها،وطفق "ماركس" يحلل حيثيات المنظومة الرأسمالية ليخرج بصياغة لمفهوم فائض القيمة والذي اعتبره ثغرة أنتجتها تناقضات الرأسمالية وأشار إلى أن تملك العمل غير المدفوع هو الصورة الأساسية للإنتاج الرأسمالي واستغلال العمال الذين لا يمكن فصلهم عنه، كما أكد على أن الرأسمالي في نفس الوقت الذي يسدد فيه أجر قوة العمال العملية بمعدل القيمة الحقيقية لهذه القوة كسلعة تباع في السوق فإنه يستخرج من هذه القوة قيمة تفوق القيمة التي دفعها أجرها، وأن هذه القيمة الفائضة تكون مجموع القيم التي يتأتى عنها رأس المال الذي يزداد باستمرار ويتضخم في أيدي الطبقات المالكة. وهكذا فسر طريقة الإنتاج الرأسمالي ويعتبر كتاب "رأس المال" - الذي باشر في كتابة جزئه الأول سنة 1867 وواصل تأليفه إلى غاية وفاته سنة 1883- من أجمل ما جادت به قريحة "ماركس" الفلسفية في مجال "الاقتصاد السياسي".[1]

وقد انتقد "ماركس" بشدة مواضيع ومنهجية رواد المدرسة الكلاسيكية الانجليزية في مقاربة الاقتصاد السياسي حيث أنهم أولوا عناية فائقة بتحليلاتهم للمظاهر الكمية على حساب الكيف وهذا خطأ في نظر "ماركس" فالتغير الكمي يؤول إلى تغير كيفي كما أن عدم تجانس الظواهر الاقتصادية والقوانين الاقتصادية[2] يجعلها ذات طبيعة ديناميكية على خلاف منظور الكلاسيكيين. وبالتالي يصير علم الاقتصاد السياسي وموضوعاته ذا طبيعة تاريخية

[1] جورج بوليتزر وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، مرجع سابق ص 268.
[2] عبد الله ساقور، الاقتصاد السياسي، مرجع سابق ص 112.

يركز فيها على دراسة الواقع الاقتصادي للمجتمع الحديث الذي تشكل عبر مراحل نمو وتطور تاريخيين للإنسانية، وفي نهاية المطاف يعتبر النظام الرأسمالي مرحلة من مراحل تطور الأنظمة الاقتصادية.

خلاصة:

من خلال التطرق إلى الجذور الفلسفية للنظرية الماركسية نكتشف أنها نظرية شمولية عابرة للتخصصات المتمثلة في الفلسفة والاقتصاد و التاريخ وعلم الاجتماع وبالتالي نستحضر فكرة "ماركس" التي مفادها أن بناء المعرفة العلمية الكلية يستلزم عدم الفصل بين العلوم.

تمهيد:

النظرية الماركسية بوصفها جملة من التصورات تجاه المجتمع والتاريخ فإنها كغيرها من النظريات تقوم على أسس ومكونات اتخذها المنظر الألماني "كارل ماركس" كمفاهيم لتحليل الواقع والذي يعتبر أساسا لتكوين البنى السياسية والإيديولوجية والفلسفية والقانونية في كل مرحلة تاريخية.

المبحث الأول: المادية الفلسفية

انتهج "ماركس" النزعة المادية منذ سنة 1844 أي في الفترة التي تكونت فيها أفكاره: لقد كان بوجه خاص من أتباع "فيورباخ"، وقد أقر "ماركس" بما عند "فيورباخ" من نقاط ضعف نظرا لعدم الكفاية في منطق ماديته و شمولها، لقد أكد أن الشأن التاريخي العالمي لـ"فيورباخ" الذي شغل دهرا قائم بالضبط على مقاطعته النهائية لمثالية "هيغل" و تأكيده على المادية، هذه المادية التي لم تكن في القرن الثامن عشر وخصوصا في فرنسا نضالا ضد المؤسسات السياسية الراهنة و ضد الدين و اللاهوت فحسب بل أيضا ضد كل ميتافيزيقا.

رفض "ماركس" القشور المثالية لفلسفة "هيغل" واحتفظ بالنواة العقلية أي احتفظ بالجدل وهو يقول ذلك بنفسه صراحة في المقدمة الثانية لمؤلفه "رأس المال" في كانون الثاني 1873: "لا يختلف منهجي الجدلي في الأساس عن منهج "هيغل" فحسب بل هو نقيضه تماما، إذ يرى "هيغل" أن حركة الفكر، هذه الحركة التي يشخصها و يطلق عليها اسم الفكرة هي مبدعة الواقع الذي ليس هو سوى الصورة الظاهرية للفكرة، أما أنا فأعتقد، على العكس : أن حركة الفكر ليست إلا انعكاسا لحركة الواقع وقد انتقلت إلى ذهن الإنسان"[1].

ويشير"انجلز" إلى الاختلاف بين وجهات النظر الفلسفية بين المنظرين لأطروحة الفكر والمادة وأسبقية أحدهما على الآخر والتي أدت إلى تكوين مذاهب يندرج ضمنها من يحملون نفس التصور من خلال قوله: "إن المسألة الأساسية العظمى في كل فلسفة و لا سيما

[1] جورج بوليتزر وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، مرجع سابق ص 30.

الفلسفة الحديثة هي مسألة علاقة الفكر بالكائن أو علاقة العقل بالطبيعة... أيهما يسبق الأخر ؟ العقل أم الطبيعة... و كان الفلاسفة تبعا لإجاباتهم على هذا السؤال قد انقسموا إلى معسكرين كبيرين: فأولئك الذين كانوا يؤكدون تقدم العقل على الطبيعة...ألفوا معسكر المثالية، و الآخرون الذين كانوا يقررون تقدم الطبيعة انتموا إلى مختلف مدارس المادية."[1]

ينوه "فيورباخ" بفكرة أن الشرط الأول للوجود البشري هو الطبيعة حيث يقول:" إن كينونة الطبيعة هي بالنسبة لي الكينونة الأزلية التي لا أول لها إلا الكائن الأول في الزمان ...هي الكائن الأول فيزيقيا وليس أخلاقيا."[2] ويمكن القول بأن الطبيعة هي أساس كل موجود على غرار الإيديولوجيات والدين.

ويعتبر"فيورباخ" أن كل الانطباعات التي تنتجها الطبيعة على مستوى ذهن الإنسان بواسطة الحواس هي بمثابة نزوع نحو التدين.

إن العيب الأساسي في المادية "القديمة" و في جملتها مادية "فيورباخ" هو في نظر "ماركس" و "إنجلز"[3]:

أولا: أن هذه المادية كانت "في أساسها ميكانيكية" و لم تكن لتأخذ بعين الاعتبار آخر ما توصلت إليه الكيمياء و البيولوجيا.

ثانيا : أن المادية القديمة لم تكن تاريخية و لا ديالكتيكية بل كانت ميتافيزيقية ولم تكن تطبق وجهة نظر التطور من جميع نواحيها على نحو منسجم محكم الحلقات إلى النهاية.

[1] جوزيف ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة خالد بكداش، دار دمشق للطباعة والنشر، 2007، ص 44.
[2] لودفيغ فيورباخ، أصل الدين، ترجمة أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991، ص 28.
[3] علي ليلة، النظرية لاجتماعية المعاصرة: الأنساق الكلاسيكية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2004، ص 45.

ثالثا: أنها تفهم "جوهر الإنسان" على نحو تجريدي لا على أساس العلاقات الاجتماعية التي يحددها التاريخ على نحو ملموس وهكذا لم تقم إلا "بتفسير" العالم مع أن المقصود كان "تغييره" و بتعبير أخر أن المادية القديمة لم تكن تدرك شأن "النشاط العملي الثوري".

المبحث الثاني: المنهج الجدلي

المطلب الأول: تعريف المنهج

كلمة منهج مشتقة من كلمة "نهج" وهو السبيل المؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود،وقد عرف فلاسفة "منطق بوروبال" المنهج على أنه "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين".[1]

ولقد اهتم كبار الفلاسفة أمثال "ديكارت" و "اسبينوزا" و "هيغل" بدراسة قضايا المنهج سعيا منهم لإتباع أنجع الطرق لبلوغ الحقيقة، وهناك منهجان المنهج الميتافيزيقي والمنهج العلمي، وتعتبر الجدلية صبغة المنهج العلمي الماركسي.

المطلب الثاني:الجذور التاريخية للمنهج الجدلي

تعود نشأة مفهوم الجدلية إلى الأنسقة الفكرية الإغريقية، فقد مثلوا الكون ككل،حيث نوه "هرقليطس" بفكرة أن هذا الكل يمتاز بقابلية التغير المستمر كما تحتل عندهم فكرة "نضال الأضداد" مكانة كبيرة ،خصوصا عند "أفلاطون" الذي يقول بأن الأضداد يولد كل منها الآخر. كلمة "الجدل" الألمانية **Dialectik** مشتقة من الكلمة اليونانية **Dialktike** وهي مأخوذة من كلمة **Dialegesthia** أي " يحاور"[2] ونجد عند كبار الفلاسفة المحدثين على غرار "ديكارت" و "اسبينوزا" أمثلة رائعة عن التفكير الجدلي, وقد

[1] عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث العلمي في العلوم السياسية والاجتماعية، مرجع سابق ص 17.
[2] ميخائيل إنوود، معجم مصطلحات هيغل، ترجمة إمام عبد الفتاح، المركز المصري العربي، 2000، ص 162.

ولع "هيغل" بالثورة البرجوازية في فرنسا والتي قضت على النظام الإقطاعي, فإذا بـ"هيغل" يقوم بثورة مماثلة في ميدان الأفكار , ويتخلى عن "الميتافيزيقا" ويؤكد على أن الحقيقة نتاج صراع بين حقائق سابقة وأخرى جديدة، حيث ينوه بمفهوم صراع الأضداد، ومع ذلك فقد كان "هيغل" مثاليا بامتياز، وقد تخلى "ماركس" عن الأطر المثالية لفكر "هيغل" ويمكن تبرير انحراف قاطرة كل من "ماركس" و "انجلز" عن السكة "الهيغلية" بمعايشتهما للثورة في مجال علوم الطبيعة خلال القرن الثامن عشر وفي مطلع القرن التاسع عشر حيث نوها بالأساس الموضوعي لـ"الجدلية" وكان للاكتشافات الآتية[1] السبب الرئيسي في ذلك:

1/ اكتشاف الخلية الحية التي تتطور عنها الأجسام المعقدة.

2/ اكتشاف تحول المادة من حالة إلى حالة فيزيائية أخرى.

3/ نظرية التحول عند "تشارلز داروين" حيث كشفت هذه النظرية بالاعتماد على علم الحفريات وعلم تربية الحيوان عن أن جميع الكائنات الحية بما فيها الإنسان هي ثمرات للتطور الطبيعي.

لقد كان "ماركس" و "إنجلز" يريان في ديالكتيك "هيغل" أوسع مذاهب التطور و أوفرها مضمونا و أشدها عمقا و أثمن اكتساب حققته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية. و كانت كل صيغة أخرى لمبدأ التطور تتراءى لهما وحيدة الجانب فقيرة المضمون تشوه و تفسد السير الواقعي للتطور في الطبيعة و المجتمع. يقول "إنجلز" : "إننا كلينا ماركس و أنا كنا

[1] إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلي عند هيغل، مرجع سابق ص 295.

وحدنا تقريبا اللذان عملا لإنقاذ الديالكتيك الواعي من المثالية بما فيها الهيغلية نفسها وذلك بإدخاله في المفهوم المادي للطبيعة، إن الطبيعة هي محك الاختبار، و بالإمكان أن نضيف أن علم الطبيعة الحديث قد أغنى إلى أقصى حدود الغنى و لا يزال يضيف لوازم هذا الاختبار يوميا و بذلك أثبتت هذه العلوم أن الطبيعة تعمل في نهاية المطاف على نحو ديالكتيكي لا على نحو ميتافيزيقي".[1]

فالديالكتيك إذن في نظر "ماركس" هوعلم القوانين العامة للحركة سواء في العالم الخارجي أو في الفكر البشري.

يمكن القول بأن وظيفة "ماركس" كانت الكشف عن ملابسات مرحلة تاريخية ما والتنظير لواقعها باعتبار أن الواقع الاجتماعي قائم على فكرة الجدل[2] والذي يعنى بالتناقضات التي تسود البناء الاجتماعي ومن ثم نسجل حتمية الصراع التي تقود إلى التحديث.

المطلب الثالث: المادية الجدلية

يعرف "آفانسيف" المادية الجدلية على أنها علم القوانين العامة التي تحكم تطور المجتمع[3] و في نظر "ماركس" أن المجتمع يتكون من بنية تحتية هي الاقتصاد وبنية فوقية هي السياسة، والعلاقة التي تربط هاتين البنيتين هي العلاقة الجدلية، فكل منهما يؤثر في الآخر، ولقد عكف "ماركس" على تطوير "الجدل المادي" بتبنيه لمقولة "الكلية" كأداة

[1] جوزيف ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، مرجع سابق ص ص 28- 29.
[2] أحمد سليمان أبو زيد، نظرية علم الاجتماع: رؤية نقدية راديكالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 104.
[3] عبد الله ساقور، الاقتصاد السياسي، مرجع سابق ص 114.

منهجية تمكن من فهم علاقة البسيط بالمركب أو علاقة الجزء بالكل فظهر هذا في كتابه "رأس المال" حيث انطلق من الشكل البسيط للقيمة وذلك من خلال التبادل السلعي واعتقد أن السلعة تتضمن تناقضات جوهرية كما اعتبرها جزءا يرتبط بكل هو الرأسمالية كنظام اقتصادي واجتماعي وسياسي. وحسب "ستالين" فالمادية الديالكتيكية هي النظرية العامة للحزب الماركسي اللينيني[1] وقد سميت بالمادية الديالكتيكية لأن أسلوبها في النظر إلى حوادث الطبيعة أو طريقتها في البحث والمعرفة يتم عبر الديالكتيك ولأن تعليلها وتصورها لهاته الحوادث مادي.

[1] جوزيف ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، مرجع سابق ص17.

المبحث الثالث: التصور المادي للتاريخ

تأثر "ماركس" بالمادية التاريخية التي تؤكد على العلاقة الوطيدة بين المادة والفكر، إذ أن الفكر نتاج للمادة وقد انشغل "ماركس" بعد صدور كتابه الموسوم بـ "الإيديولوجية الألمانية" سنة 1846 بالإشتراك مع زميله "انجلز" بهذه الأطروحة حيث يقول "انجلز" في مقدمة كتاب "البيان الشيوعي": "إن الإنتاج الاقتصادي والبناء الاجتماعي الذي ينتج منه بالضرورة يؤلفان في كل عهد تاريخي أساس التاريخ السياسي والفكري لهذا العهد".[1]

وقد اعتبرا أن "المادية التاريخية" تدرس الظاهرة الاجتماعية دراسة شاملة من خلال ثلاثة زوايا فالماضي يساعد على فهم الحاضر، واستيعاب الماضي والحاضر يمكن من التنبؤ بالمستقبل، وبذلك تشتق القوانين العامة التي تفسر مسار الظاهرة وملابساتها وإشكالاتها[2] ويتمحور "المنهج الماركسي" حول فكرة جوهرية مفادها أن التاريخ ليس سوى تاريخا للصراع بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة.

أدرك "ماركس" خلو المادية القديمة من المنطق و عدم اكتمالها و طابعها الوحيد الجانب، فاقتنع بأنه يجب بناء علم المجتمع على أساس مادي بحت،وإذا كانت المادية عموما تفسر الوعي بالكائن و ليس العكس، فهي تتطلب عند تطبيقها على الحياة الاجتماعية للإنسانية تفسير الوعي الاجتماعي بالكائن الاجتماعي. وقد أعطى ماركس صيغة كاملة عن الموضوعات الأساسية للمادية في تطبيقها على المجتمع البشري وتاريخه و ذلك في مقدمة كتابه: "مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي" حيث قال: "إن الناس أثناء الإنتاج الاجتماعي

[1] جوزيف ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، مرجع سابق ص 95.
[2] مصطفى بوجلال، علم الاجتماع المعاصر بين الاتجاهات والنظريات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص 82.

لحياتهم يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن إرادتهم،وتطابق علاقات الإنتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية،ومجموع علاقات الإنتاج هذا يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع، أي الأساس الواقعي الذي يقوم عليه البناء الفوقي الحقوقي و السياسي والذي تطابقه أشكال معينة من الوعي الاجتماعي. إن أسلوب إنتاج الحياة المادية يشترط تفاعلا للحياة الاجتماعية و السياسية و الفكرية بصورة عامة، فليس إدراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم بل على العكس من ذلك معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد إدراكهم"[1].

فينبغي تفسير هذا الوعي بتناقضات الحياة المادية و بالنزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة و علاقات الإنتاج،فأساليب الإنتاج:الأسلوب الآسيوي والقديم والإقطاعي والبرجوازي الحديث يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التكون الاجتماعي الاقتصادي، حيث اعتبر "ماركس" المجتمع بناءا محددا يقوم على الأشكال الفردية للملكية الخاصة وتقسيم مميز للعمل وطبقات اجتماعية متناحرة،ويعتبر الأفكار نواتج للسياقات المرتبطة بالتكوين الاجتماعي، ويرجع التطور التاريخي إلى الأساليب النوعية في الإنتاج معتبرا أن المجتمعات خضعت في تطورها إلى مراحل مختلفة إلى أن وصلت إلى النظام الرأسمالي وستصل إلى النظام الشيوعي[2].

بين "ماركس" دور العامل المادي في صياغة أحداث التاريخ فالتاريخ حسبه هو صراع بين من يملكون ومن لا يملكون،وهو يعتبر التناقض أساس الصراع، وقد ركز على صياغة القوانين الحتمية لتطور المجتمعات وطور الجانب الثوري (النزعة الاشتراكية) لدى

[1] بليخانوف، فلسفة التاريخ، مرجع سابق ص ص 46-47.
[2] عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث العلمي في العلوم السياسية والاجتماعية، مرجع سابق ص187.

"سان سيمون" الذي كان يرى أنه يجب على الإنتاج أن ينظم اجتماعيا وأن يكون مسيرا من طرف المنتجين أنفسهم ولا يدار من طرف الطبقة الجوفاء وغير المنتجة [1]. وانطلق "ماركس" في تفسيره للتاريخ البشري من أساس مادي بحت حيث رأى أن تركيبة المجتمع والتي تتمثل في البنية التحتية والبنية الفوقية تربطهما علاقة جدلية أساسها التأثير والتأثر.إذ أن البنية التحتية تكمن في الواقع الاقتصادي الذي يضم أسلوب الإنتاج (النظام الرأسمالي) وقوى الإنتاج (القوة البشرية + وسائل الإنتاج) وعلاقات الإنتاج (طبقة برجوازية وطبقة عاملة)، و حسب قانون صراع الأضداد فإن الطبقة البرجوازية - التي تتراكم لديها الثروة باعتبارها المالكة لوسائل الإنتاج تدخل في صراع مع الطبقة العاملة - باعتبارها الطبقة المحرومة - وبالتالي يزداد بؤسها وشقاؤها، ويحتد الصراع بين الطبقتين ليؤدي حسب قانون التغير الكمي والكيفي إلى مرحلة جديدة هي مرحلة تأسيس نظام جديد، ومن خلال قانون نفي النفي فإن هذه الوضعية تعتبر نفيا لسابقتها في حين أنها تحتفظ بمكونات المرحلة السابقة إذ تحتفظ بنظام الملكية لكنها ملكية جماعية أما الطبقية فتذوب في ظل هذا النظام الجديد.

يحيلنا "ماركس" على البنية الفوقية للمجتمع المتمثلة في الإيديولوجيا والوعي وشتى البنى الثقافية للإنسان والتي ترتكز على البنية التحتية فالوجود الاجتماعي وعلاقات الإنتاج هما أساس التكوين الاجتماعي ومن ثم يصبح التغير عند "ماركس" يخضع للقاعدة الاقتصادية وعليها يمتد التغيير ليطال التركيب الفوقي بأكمله ويمكن استحضار المقولة التالية لـ"ماركس":

"يصنع الناس تاريخهم ولكنهم لا يصنعونه من تلقاء أنفسهم بالكيفية التي يختارونها بل

[1] رابح كعباش، الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، مخبر علم اجتماع الاتصال، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 135.

على العكس يصنعونه تحت تأثير ظروف تهيأت لهم وورثوها"[1].

لخص "ماركس" تصوراته عن التاريخ في النقاط التالية:

1- التاريخ ليس سوى تاريخا للصراعات والحروب.

2- نظام الإنتاج يحدد البناء الطبقي في المجتمع.

3- النظام البرجوازي (الرأسمالي) يحمل العديد من التناقضات التي تعجل بانقراضه.

ويمكن القول بأن التصور المادي للتاريخ لدى "ماركس" ساهم نوعا ما في تفسير تطور المجتمعات وأنظمتها الاقتصادية والاجتماعية انطلاقا من النظام البدائي ووصولا إلى النظام الرأسمالي.

[1] نفس المرجع السابق ص 149.

المبحث الرابع: الطبقات والصراع الطبقي

"النظام الرأسمالي يحمل في طياته بذور فنائه"

كارل ماركس

يعبر تقسيم العمل الاجتماعي عن انتظام البشر في واقع اجتماعي معين يتضمن نظاما إنتاجيا معينا ويشير إلى مرحلة تاريخية معينة،مثلما كان للمجتمع البدائي نظامه العشوائي في مجال تقسيم العمل، والنظرية الماركسية تعتبر أن تقسيم العمل هو نتاج للتطور البشري حيث انقسام المجتمع إلى طبقتين متضادتين[1]: طبقة مستغلة وطبقة مستغلة.

المطلب الأول: تعريف الطبقة

يعرف معجم "روبير" الطبقة على أنها مجموعة من الأفراد الذين يتقاسمون وظيفة ونمط حياة وإيديولوجيا[2] وقد كشف "ماركس" في مؤلفه "صراع الطبقات في فرنسا" عن مكونات المجتمع الفرنسي والتي تتجلى في عدة طبقات: البرجوازية المالية والبرجوازية الصناعية والبرجوازية التجارية والبرجوازية الصغيرة والطبقة الفلاحية وطبقة البروليتاريا وطبقة البروليتاريا الرثة.

المطلب الثاني: الصراع الطبقي

يحتل مفهوم الطبقات الاجتماعية مكانة متميزة في تفسير "ماركس" للمجتمعات والتغيرات الاجتماعية،ويؤكد على أن اضمحلال المجتمعات البدائية ونشوء المجتمعات

[1] علي ليلى، النظرية الاجتماعية المعاصرة، مرجع سابق ص 76.
[2] يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجين الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، ص 13.

الطبقية التي تتسم بالصراع يرجع في الأساس إلى الاستئثار بالملكية الخاصة التي أصبحت بدورها تشكل ظاهرة اجتماعية تؤثر في التغيرات الاجتماعية، بحيث تعكس التناقضات التي تعمل على تحريك المجتمعات وتطويرها وتجاوزها لمراحلها البدائية، وترى "الماركسية" أن شيوع الملكية الخاصة أوجد جوانب إيجابية تتمثل في إحداث التغيير والتقدم، إلا أن طغيان الملكية الخاصة وتخطيها لدورها الإيجابي آل بها إلى أن تصبح عاملا من شأنه خلق الهوة بين من يملك ومن لا يملك والإخلال بالكيان العام ويبرز نظام: سادة وعبيد، متسلطين ومضطهدين،متجبرين ومظلومين،ولذلك لابد من مقاومتها.

القضية الأساسية في تحليلات "ماركس" هي أن موقع الجماعات والأفراد من ملكية وسائل الإنتاج يحدد وضعهم الاجتماعي في بناء القوة داخل المجتمع، فهم إما فاعلون أو خاضعون حيث يقول "ماركس": " إن طريقة الإنتاج الرأسمالية الحالية تفرض مسبقا وجود طبقتين اجتماعيتين، فمن جهة طبقة الرأسماليين التي تمتلك وسائل الإنتاج المعيشية ومن جهة أخرى طبقة البروليتاريا المجردة من الملكية،والتي لاتمتلك إلا سلطة واحدة هي قوة عملها،ولذلك تضطر إلى بيع قوة عملها بغية الحصول على وسائل معيشتها "[1].

من المعلوم أنه في كل مجتمع تتصادم مصالح البعض مع مصالح البعض الآخر و أن الحياة الاجتماعية مليئة بالتناقضات، وإن التاريخ ليكشف لنا عن الصراع الذي يقع بين الشعوب و المجتمعات، كما يقوم داخل الشعوب و المجتمعات نفسها،و إنه ليبين لنا أيضا مراحل متعاقبة من السلم و الحروب، من الركود و التقدم، فيمكن القول أن من بين ظروف قيام الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي هو التمايز الطبقي بين "أصحاب الأقدام

[1] محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المجدلاوي للنشر، الأردن، 2008، ص 89.

السوداء" و"الأهالي"، ويمكن تعميم النظرة على الثورة الفرنسية والثورة البلشفية بروسيا، فروسيا القيصرية ليست هي نفسها روسيا الاتحادية،فالماركسية قد رسمت النهج الذي يتيح اكتشاف وجود القوانين في هذا التعقيد و التشويش الظاهر و نعني بهذا نظرية الصراع الطبقي، فقط دراسة مجمل المطامح لدى جميع أعضاء مجتمع ما أو عدد من المجتمعات تسمح بتحديد نتيجة هذه المصالح تحديدا علميا. هذا مع العلم أن المطامح المتناقضة يولدها تباين الأوضاع و شروط الحياة لدى الطبقات التي ينقسم إليها كل مجتمع.

ويؤكد "ماركس" على أن التاريخ المكتوب لكل المجتمعات هو تاريخ للصراع الطبقي[1] من خلال تتبعه للجذور التاريخية لفكرة الصراع وأكد أنها قضية أزلية منذ فجر التاريخ و تحرير الطبقة المظلومة حسبه يتطلب خلق مجتمع جديد.

يرى "ماركس" أن "البرجوازي" يملك القوة الناتجة عن مكانته في النسق الاقتصادي فهو يشتري جهد العمال بأرخص الأسعار أما العامل فلا يملك سوى عمله الذي يعرضه في السوق ويتلقى مقابله أجرا وبالتالي يمارس رب العمل نوعا من الاستغلال تجاه العامل كزيادة ساعات عمله وتقليل فترات راحته وإجباره على العمل بأجر زهيد، والاستغلال يقود إلى اغتراب العمال في واقعهم وهنا يتشكل الوعي نتاج اتحاد العمال مع بعضهم البعض فيكون وقوع الصراع بين الطبقات بسبب وعي الإنسان بواقعه السيء وبالتالي تبني الثورة من أجل تغيير الواقع.[2]

[1] أحمد سليمان أبو زيد، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق ص 108.
[2] علي الحوات، النظرية الاجتماعية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1996، ص 160 .

المبحث الخامس: الاغتراب

يعتبر"ماركس" أن تاريخ النوع الإنساني هو تاريخ اغترابه والتصورالاشتراكي كفيل بتحقيق الذات والخروج من بوتقة الاغتراب[1]. والاغتراب في نظر "ماركس" هو عدم فاعلية الإنسان في الواقع، و يؤكد "ماركس" على فكرة أن تقسيم العمل الاجتماعي لا يأخذ في الحسبان مواهب الأفراد ومصلحة الكل بل يتجسد من فلسفة الإنتاج الرأسمالي، والقضية المادية التي ينطلق منها "ماركس" تتمثل في واقعة تاريخية وهي الكشف عن الطابع المادي للنظام الاجتماعي السائد حيث أن طبيعة الاقتصاد الذي يميز هذا النظام يضبط العلاقات الإنسانية، ويقول "ماركس" بأن نظريته المادية هي تحصيل حاصل للطابع المادي للمجتمع الذي يدرسه حيث يرد مقاله كالتالي:

"سأنطلق من واقعة اقتصاديّة راهنة تتمثل في أنه بقدر ما ينتج العامل من الثروة أكثر، وينمو إنتاجه من حيث القوّة والحجم، يصبح أكثر فأكثر فقرا، وبقدر ما ينتج من البضائع أكثر يصبح بضاعة أبخس ثمن....، ينتصب الموضوع الذي ينتجه العمل أي - منتوجه الخاص- أمامه كيانا غريبا و قوّة مستقلة عن منتجها، إنّ منتوج العمل وقد تمّ تثبيته وتحويله إلى مادة في موضوع، فهو تموضع العمل، والتموضع هو فقدان للموضوع وعبودية له إذ أن في انتزاع المنتوج اغتراب للعامل وإقصاء له"[2].

إذن يجب ألا ننظر إلى العمل على أنه نشاط اقتصادي فحسب بل على أنه النشاط الوجودي للإنسان، ويعتبر أيضا نشاطا حرا واعيا يتعدى حفظ مأكله ومشربه إلى غاية

[1] إيريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1998، ص 63.
[2] نفس المرجع ص 66.

سامية هي تجسيد إنسانيته وماهيته الكاملة والسؤال الذي طرحه "ماركس" هو هل حقق هذا الواقع الاقتصادي الماهية الكلية للإنسان؟

القاسم المصطلحاتي المشترك بين كل من "فيورباخ" و"هيغل" و"ماركس" هو ماهية الإنسان التي تتجلى في ملكاته الذهنية والمادية التي لا تتحقق إلا في ظل حياة إنسانية حيث يقرن "ماركس" التحقق الذاتي للإنسان بالتوافق بين الفكر والوجود و الذي يقتضي أساسا إلغاء طريقة العمل السائدة.

يشرح "ماركس" اغتراب العمل وفق علاقة العامل بنتاج عمله وأيضا في علاقة العامل بنشاطه الخاص، فالعامل في المجتمع الرأسمالي ينتج سلعا ويقتضي الإنتاج الواسع النطاق رأسمالا أي أكداسا ضخمة من الثروة تستخدم خصيصا في توسيع نطاق إنتاج السلع، وتنتج السلعة بواسطة أصحاب أعمال مستقلين لأغراض البيع بربح ويشتغل العامل من أجل الرأسمالي ويسلم إليه عن طريق عقد الأجر نتاج عمله ويشكل رأس المال قدرة على التصرف في منتجات العمل، وكلما ازداد ما ينتجه العامل ازدادت قوة رأس المال، وتضاءلت قدرة العامل ذاته على تملك منتجاته وهكذا يصبح العامل ضحية قوة صنعها هو ذاته. والعامل المغترب عن نتاج عمله هو أيضا مغترب عن ذاته ويدل تملك غيره له على حدوث نزع الملكية وبالتالي تمس ماهية الإنسان ذاتها.[1]

إن العمل في شكله الصحيح وسيط يستخدمه الإنسان في تحقيق ذاته على النحو الصحيح وفي سبيل تنمية إمكاناته كاملة، أما في صورته الراهنة فإنه غير ذلك، فالعامل لا يؤكد ماهيته بل يناقضها وبدلا من أن ينمي طاقاته الجسمية والذهنية الحرة يكبت جسمه

[1] هربرت ماركيوز، العقل والثورة، مرجع سابق ص 281.

ويدمر ذهنه ومن هنا لا يشعر أنه مع ذاته إلا عندما يتحرر من العمل، حيث أنه يشعر بكيانه حين لا يعمل لكنه مضطر للعمل من أجل رغبات خارجة عنه، فعملية الاغتراب تؤثر على كل مستويات المجتمع بل إنها تشوه الوظائف الطبيعية للإنسان فالحواس التي هي المصادر الأولى للحرية والسعادة في رأي "فيورباخ" تختزل في حاسة تملك واحدة بل أن اللذة والمتعة تتحولان من وسائل لتحقيق الماهية الإنسانية إلى أحوال للتملك والاقتناء الأناني.

وهكذا يحلل "ماركس" العمل في ظل الرأسمالية من خلال فقه العلاقات الاقتصادية ووصولا إلى مضمونها الإنساني فهو ينظر إلى العلاقات القائمة بين رأس المال والعمل وكذلك العلاقات بين السلع كعلاقات ضمن حياة الإنسان الاجتماعية، بل أن نظام الملكية الخاصة يبدو على أنه نتاج أسلوب العمل المغترب وحصيلته ونتيجته الضرورية، ويستمد من آليات الطريقة الاجتماعية في الإنتاج[1] فالعمل منفصلا عن موضوعه هو اغتراب الإنسان عن الإنسان، يعزل فيه الأفراد عن بعضهم البعض ويتمثل ارتباطهم في السلع التي يتبادلونها لا في أشخاصهم، فاغتراب الإنسان عن ذاته هو اغتراب له عن أقرانه من الناس.

إن كتابات "ماركس" المبكرة هي أول تعبير صريح عن عملية "التشيؤ" التي يحيل فيها المجتمع الرأسمالي كل العلاقات الشخصية بين الناس إلى علاقات موضوعية بين أشياء، ويعرض "ماركس" هذه العملية في كتابه "رأس المال" تحت عنوان "فتيشية السلع" فالنظام الرأسمالي يربط الناس سويا من خلال السلع التي يتبادلونها وقيمة السلع التي ينتجونها هي التي تحدد مركزهم الاجتماعي ومستوى معيشتهم ومدى إشباع حاجاتهم وحريتهم وقوتهم، أما قدرات الأفراد وحاجاتهم فلا شأن لها في التقدير، بل أن أكثر صفات الإنسان إنسانية

[1] كارل ماركس وفريدريك انجلز، الإيديولوجية الألمانية: مصادر الاشتراكية العلمية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، ط 1، 1976، ص 44.

تصبح مرتبطة بالمال وهو البديل العام عن السلع، ولا يشارك الأفراد في العملية الاجتماعية إلا بوصفهم ملاكا للسلع فحسب. فالإنتاج الرأسمالي يؤدي إلى نتيجة مذهلة وهي أنه يحول العلاقات الاجتماعية للأفراد إلى صفات للأشياء (السلع) ذاتها، بل يحول علاقات الإنتاج المتبادلة ذاتها على نحو أصح إلى شيء (المال). والحصيلة هي أن الاغتراب نتاج تكريس للملكية الخاصة فالصراع بين المصالح الفردية يؤدي إلى الإضرار بالماهية الكلية للإنسان وإلى تجريد الإنسان من إنسانيته.

إن إلغاء الملكية الخاصة يعني عودة الإنسان من نظام الأسرة والعقيدة والدولة إلى وجوده الإنساني والاجتماعي، وهذه الفكرة تحيلنا على فكرة رحيل الدولة التي شرحناها في الفصل الأول عند تطرقنا إلى المذهب الفوضوي، يقول "انجلز": "إن الأسرة هي وضع من أوضاع المجتمع، لا نضوج فيها ولا جدوى ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأييده إلا بالقدر الذي تستطيع استغلاله لمصلحة الدولة"[1] فالمذهب الشيوعي ينكر الأسرة ويعمل على انحلال روابطها لأنها تنمي أحاسيس الأثرة الذاتية وحب التملك.

[1] أنور الجندي، سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة - الجزائر، ص 193.

خلاصة:

يمكن القول بأن النظرية الماركسية كتصور للمجتمع والتاريخ ترتكز على مفاهيم جوهرية حيث تتخذ الاقتصاد كمنطلق فلسفي لدراسة البناء الاجتماعي الذي يقوم ويتطور على أساس جدلي بحت باعتبار أن صراع الأضداد يلعب دورا وظيفيا في صياغة التاريخ البشري أين يولد أسلوب الإنتاج الرأسمالي ظاهرة الاغتراب بين الأوساط العمالية الذين من أجلهم صاغ "ماركس" فكره الاشتراكي وحاول تحسين أوضاعهم من خلال فلسفته الثورية.

تمهيد:

يطلق اسم الماركسية المحدثة على المفكرين المتمسكين بالماركسية التقليدية كإطار نظري و منهجي والمنتقدين لها في بعض الجوانب وقد ركزنا على مقاربات الماركسيين الجدد لمفهوم الصراع باعتباره المفهوم الرئيس الذي صاغ من خلاله "ماركس" أطروحته الفلسفية وبالتالي عقدنا مقارنة بين النظرية الماركسية الكلاسيكية والمحدثة بالتطرق إلى نظريات "داهرندورف" و "كوزر" و"باركن".

المبحث الأول: نظرية رالف داهرندورف

يؤكد رواد الماركسية المحدثة على الطابع الصراعي الذي يخيم على العالم ويردون طبيعة العلاقات الاجتماعية إلى عامل الاحتكاك بين الأفراد والجماعات فالصراع حسبهم من صلب الواقع اليومي ويعتبر المفكر الألماني "رالف داهرندورف" نصيرا للفكر الماركسي القائم على فكرة الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي وقد ألف كتابات حول هاته الأطروحة أهمها كتابه الموسوم بـ"الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي" الصادر سنة 1957 وفيه شدد على ضرورة تحليل المجتمع وفق عوامل الصراع والعنف اللذان يؤديان في نهاية المطاف إلى التغير الاجتماعي.[1]

المطلب الأول: تعريف النظرية الاجتماعية

يعرف "داهرندورف" النظرية الاجتماعية على أنها "جملة القوانين ذات الفاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس من واقعهم الحقيقي"[2].

بنى "داهرندورف" أطروحته الفكرية على أنقاض النظرية الماركسية التي يعتبرها نموذجا لمجتمع "اليوتوبيا" و صاغ فكرة الصراع بوجه آخر كمقاربة بديلة وانتقد بشدة "التحليل الطوباوي" واعتبر الصراع ظاهرة اجتماعية لها انعكاساتها الايجابية تتمثل في السيرورة نحو التغير، ورغم أن النظرية الماركسية أشادت بالصراع الطبقي إلا أن "داهرندروف" نادى بضرورة تركيز الاهتمام على عوامل الصراع والتغير والقهر مجتمعة و قد جهد ساعيا لتبيين مدى جدوى النظرية الماركسية في ظل التطورات التي شهدها

[1] علي الحوات، النظرية الاجتماعية، مرجع سابق ص 30.

[2] معن خليل معن، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص 20.

المجتمع الصناعي الحديث - والذي يصطلح عليه أحيانا اسم المجتمع ما بعد الرأسمالي- على غرار الثورة التكنولوجية وتطور المؤسسات الصناعية والتجارية بموازاة ظهور الطبقة الوسطى وتغير أوضاع العمال.

المطلب الثاني: ملامح المجتمع الصناعي

يبين "داهرندورف" عند تحليلاته للمجتمعات الصناعية كيف يغدو الصراع منظما ونمطيا حيث يمكن التنبؤ بوقوعه، ومن ثم توجيهه شريطة أن تتوفر الظروف الموضوعية لذلك فالصراع وليد البيئة السياسية بالدرجة الأولى،و يلخص "داهرندورف" ملامح المجتمع الصناعي[1] في السمات التالية:

1/ يسير كل مجتمع نحو التغير سواء كان هذا التغير سريعا أو تدريجيا عنيفا أو منظما شاملا أو محدودا، مع العلم أن الأفراد يؤسسون لتنظيمات تحقق العيش في ظل التعاون وهي حالة النظام والتوازن.

2/ منظور الصراع باعتباره مقاربة كفيل بدراسة التغير الاجتماعي الحاصل في المجتمع الصناعي.

3/ المجتمع له وجهان من منظور "داهرندورف" فالأول يعبر عن حالة الاستقرار والتوازن، والثاني يحيل على حالة الصراع،ولفهم الواقع يجب إدراك التفاعل الجدلي بين الثبات والصراع والتغير.

[1] أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، 2005، ص ص 185- 198.

4/ النظرية الماركسية وليدة ظروف المجتمع الذي عاش في ظلها "ماركس"لكنها لا تواكب المجتمع الصناعي الحديث الذي يمتاز بانفصال الملكية عن الإدارة وتشتت الطبقة العاملة، وقد استعاض "داهرندورف" بمصطلح "أشباه الجماعات" بدل مصطلح "الطبقات" للتدليل على "أفراد البروليتاريا".

المطلب الثالث: ثلاثية النظام – الصراع والتغير

تمسك "داهرندورف" بالمنظور الماركسي القائل بأن الصراع أساس كل تغير في الأنظمة لكنه نقد "اليوتوبيا" بقوله :" اليوتوبيا تصور مجتمعات لا يظهر فيها التغير"[1] إذ أن "اليوتوبيا" تقدم تصورا فحواه أن الصراع الطبقي - الذي هو نتاج طبيعة علاقات الإنتاج - يعد آداة لتفسير البناء الاجتماعي الرأسمالي وتقسيمه إلى طبقتين متناحرتين هما: الطبقة البرجوازية والطبقة الكادحة بخلاف "داهرندورف" الذي أشار إلى أن هناك تصنيفات عديدة ومعقدة للمجتمع الواحد وفق معايير: موقف العمل والموقف الطبقي والوعي الطبقي وقد اعتبر العلاقات الاجتماعية بناءا تحتيا يقوم عليه بناء فوقي يتضمن السلطة وهنا يكمن الجدل بين النظام والصراع،وقد استبدل الحتمية الاقتصادية التي تبناها "ماركس" بالحتمية السياسية.

يرى "داهرندورف" أن لكل مجتمع قابلية للتغير الذي يطال شتى المجالات فالتغير ظاهرة تولد في ظل المجتمع الذي يحمل في طياته تناقضات وصراعات، وللقهر دور وظيفي في حدة الصراع فلدى "ماركس" يكون الصراع حول ملكية وسائل الإنتاج أما عند

[1] نفس المرجع السابق ص 163.

"داهرندورف" فيحتد الصراع من أجل السلطة. ويوظف هذا الأخير مصطلحات "ماركس" نحو: القوة- القسر- الإكراه- الهيمنة، غير أنه يركز على مصطلح "علاقات السلطة"، حيث يقول[1]: " ينطوي المجتمع ما بعد الرأسمالي على تعددية الروابط، كل منها يتكون من مجموعتين متعارضتين إحداهما في السلطة والأخرى خارج السلطة، حيث تكون مصالحهما كامنة وتكون أشباه جماعات لكنها تصبح جماعات مصلحة حيث تتجلى المصلحة وتصبح ظاهرة واضحة" وقد استخدم "داهرندورف" مصطلح "الجماعات المصلحية" وأكد بأن هناك جماعات كثيرة جديرة بهذه التسمية،لكنه استثنى منها الجماعات الأولية كالأسرة والأصدقاء باعتبارها لا تدخل ضمن إطار الجماعات المتصارعة وبالتالي تسقط عنها ميزة المصلحية، لكنه اعتبر أن الأحزاب السياسية والنقابات أكثر ارتباطا بعلاقات السلطة والخضوع وبالتالي فإن المصلحية هي المحرك الفعلي للصراع الاجتماعي.

وفي نهاية المطاف يكون "داهرندورف" قد تجرد من التصور المادي في تحليله للعلاقات الاجتماعية ذات البعد الطبقي ويؤكد أن الطبقات الاجتماعية ليست بالضرورة جماعات اقتصادية، والنتيجة هي أنه ليس بالضرورة أن يكون الصراع وليد علاقات الإنتاج (الملكية). ويوضح "داهرندورف" كيف أن ملكية وضبط وسائل الإنتاج كانتا لصيقتين في ظل النظام الرأسمالي أي في بداية القرن التاسع عشر، لكن في ظل النظام ما بعد الرأسمالي تغدو الملكية محصورة في أيدي المساهمين في وسائل الإنتاج إذ أصبحت فئة البيروقراطيين تمارس الضبط والسيطرة على وسائل الإنتاج دون أن تملكها وهذا ما يظهر في السلطة

[1] إرفنج زايتلن، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة و إبراهيم عثمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص ص 185- 205 .

الإدارية، وبالتالي تغيرت العلاقات من علاقات ملكية وسائل الإنتاج إلى علاقات السلطة والتشريع.

ويمكن إيجاز وجهات النظر المشتركة بين "ماركس" و"داهرندورف"[1] في النقاط التالية:

1/ الأنظمة الاجتماعية في حالة صراع مستمر.

2/ الصراع ينشأ من تضارب المصالح داخل المجتمع.

3/ المصالح المتعارضة انعكاس لعامل تقسيم القوة بين الجماعات المسيطرة والجماعات الخاضعة.

4/ التغير الاجتماعي تحصيل حاصل للصراع الاجتماعي.

[1] عدلي أبو طاحون، في النظريات الاجتماعية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 320.

المبحث الثاني: نظرية لويس كوزر

تقمص "لويس كوزر" الاتجاه اليساري (الحزب الشيوعي الأمريكي) وأسهم في التنظير لفكرة الصراع، وقد انتقد "داهرندورف" وعاب عليه عدم تأكيده على الدور الريادي للصراع في صيانة الأجهزة والتنظيمات الاجتماعية.

يشبه "كوزر" العنف بالألم أو المرض الذي يصيب جسم الإنسان إذ أنه يقوم بدور إشارة الخطر بما يسمح للجسم الاجتماعي من إعادة تكييف ذاته، ويعرف المجتمع على أنه: "أنظمة مترابطة في علاقة غير متوازية بل في علاقة صراعية بسبب رغبة الأفراد في تحقيق طموحاتهم وأهدافهم، وهذه العلاقة الصراعية تساعدنا على فهم العلاقات الاجتماعية السائدة التي هي علاقات صراع حول القيم والمكانة ومصادرها"[1].

المطلب الأول: أنواع المجتمعات

لقد حدد "كوزر" نوعين[2] من المجتمعات:

النوع الأول: هو المجتمع المفتوح وبناؤه الاجتماعي مفتوح،يمتاز بالمرونة حيث يتفجر الصراع حول قضايا حقيقية ويؤدي إلى مرونة وتكامل كبيرين.

النوع الثاني: هو المجتمع المغلق وبناؤه الاجتماعي جامد ومغلق،حيث يدور الصراع حول قضايا وهمية مما يؤدي إلى العنف والتفكك.

[1] Louis cozer , les fonction du conflit social , traduit par matigman , paris , edition p.u.f , 1992 , p 20.

[2] غراهام كيلوتش، تمهيد في النظرية الاجتماعية: تطورها ونماذجها الكبرى، ترجمة محمد السعيد فرج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 275.

إن نظرية الصراع داخل المجتمع لدى "كوزر" هي حصيلة انتقال المجتمع الرأسمالي إلى مجتمع ما بعد رأسمالي بما يحويه من ظروف جديدة وتنظيمات حديثة تستلزم أنماطا جديدة من العلاقات.

المطلب الثاني: أصل الصراع الاجتماعي عند "كوزر":

يؤكد "كوزر" على أن الصراع الاجتماعي هو صراع على القيم وطلب للمكانة والموارد النادرة، بحيث لا يكون بوسع هذه الجماعات المتصارعة تحقيق القيم المرغوبة فحسب، بل تحييد وإيذاء أو حتى إقصاء الجماعات المنافسة[1].

ولقد ركز "كوزر" على إبراز دور العواطف الإنسانية في خلق الصراع الاجتماعي وحلل أنماط الصراع حسب النظم والأدوار الاجتماعية، وخرج بفكرة أن هدف أصحاب الصراعات هو تحقيق الأهداف المرغوبة ولو على حساب إقصاء الآخرين وبالتالي فالصراع هنا أيضا صراع مصالح. ويقوم المجتمع في نظره على توازن القوى بين الجماعات والتنظيمات المتصارعة،وتتباين ضروب الصراع بين الصراع السياسي والصراع الديني والصراع الثقافي والصراع بين المجتمعات الريفية والحضرية وبين الطبقات. ويتفق مع "داهرندورف" في اعتبار أن الصراع يتمركز على السلطة ذات القوة على خلاف "ماركس" الذي يركز على عامل الصراع حول ملكية وسائل الإنتاج فهناك الصراع السياسي والصراع المادي. فهذا الأخير عنيف إلى درجة تدمير بنية المجتمع وتفكيكه أما الأول فليس عنيفا بل هو صراع وظيفي ويحصر في التنظيمات الاجتماعية،

[1] أحمد سليمان أبو زيد، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق ص 116.

التي تتحدد في ظلها مختلف العلاقات الاجتماعية فهناك الحكام والمحكومون، وبلغة التنظيم الإداري يقال الرؤساء والمرؤوسون، وملاك السلطة هم المسيطرون على القوة و في الأخير يغدو الصراع وظيفيا بحتا. و يجب أن نميز بين أنواع الصراع المختلفة من أجل صياغة تصور لتفسير المجتمع.[1]

المطلب الثالث: أنواع الصراع عند "كوزر":

يقسم الصراع حسب "كوزر" وفقا لدرجة انتظامه المعياري[2] داخل النسق الاجتماعي إلى:

1/ الصراع الواقعي: ويحدث داخل إطار من القواعد النظامية والمؤسسات التنظيمية أين تتحدد فيه السلطات وتقسيمات العمل والمهام ويكون غالبا صراعا عقلانيا منظما، حيث يتمكن الأفراد الطموحون من تحقيق رغباتهم عبر جملة من المفاوضات بين الرؤساء والمرؤوسين وبالتالي يزول الصراع. ويضرب "كوزر" مثالا عن طبيعة هذا الصراع وميكانيزمات معالجته، فالخلاف بين العمال وأرباب العمل في التنظيمات الصناعية ينم عن صراع عقلاني يتم فكه عن طريق تحقيق مطالب العمال بواسطة الوسائل التفاوضية كالنقابات والاتحادات العمالية وغيرها، ورغم خطورة هذا النمط الصراعي وتهديده للنظام الاجتماعي إلا أنه يقود في الأخير إلى الاستقرار.

2/ الصراع غير الواقعي: ويتجلى في حرمان الأفراد من المشاركة في المطالب الاجتماعية والذاتية أو عدم قدرة أطراف الصراع على تحديد الأهداف ويعنى بصراع المصالح الخاصة

[1] نفس المرجع السابق ص 117.

[2] l.cozer , op.cit , p .p 33, 36.

للأفراد والجماعات على حساب أهداف التنظيم وبطرق إلتوائية ومشبوهة.

3/ الصراع الخارجي: ويتم بين الأمم والشعوب، أو بين جماعتين أو أكثر كالصراع الإثني والعاطفي، ويحدث نوعا من التماسك داخل كل طرف ويزيد وعي الجماعات بالخصوم وتستنفر كل جماعة قوتها المادية من أجل مجابهة غريمتها. وهذه الفكرة استمدها "كوزر" من "ماركس" الذي يتصور أن الصراع كفيل بخلق الوعي الذاتي الحقيقي بدل الوعي الزائف، ويشير"كوزر" في مؤلفه الموسوم بـ"سوسيولوجيا الصراع" إلى الوقائع التاريخية أين نشب الصراع بين ألمانيا النازية و الحلفاء حيث قامت الدول الأوروبية على غرار فرنسا وبريطانيا بالإتحاد والتعاون من أجل مجابهة عدوهم المشترك والذي يتمثل في الخطر النازي.

4/ الصراع الداخلي: انطلق "كوزر" في تحليله للصراع الداخلي[1] من فكرة أن الصراع داخل المجتمع الواحد يعبر عن مظاهر التفكك وإذا ارتبط هذا الصراع بالقيم فسيكون خطيرا ومهددا لبناء المجتمع وإذا تم احتواؤه من خلال تكييفه مع منظومة القيم السائدة فسوف يصير وظيفيا وايجابيا بحيث يضمن الاندماج والاستقرار في المجتمع.

[1] Ibid , p.p.151,154.

المبحث الثالث: نظرية فرانك باركن

القيم والصراع في المجتمع الحديث

في إطار محاولته الربط بين القيم والصراع وإدراك حقيقة العلاقة بينهما في المجتمع الحديث قام "باركن" بالرجوع إلى مفاهيم "ماركس" واتخذها مرجعا للتنظير، ويتضح ذلك من خلال مؤلفه الموسوم بـ"اللامساواة الطبقية في النظام السياسي" من خلال طرحه للسؤال التالي: لماذا لا تتمرد الجماعات المحرومة على غيرها من الجماعات ذات الامتيازات؟ ويمكن القول بأن هذه السيطرة التي تتعرض لها الجماعات المحرومة نابعة من ثقافة الخضوع والاستسلام التي تنشرها الجماعات المسيطرة (النظام الحاكم) من خلال المقررات الدراسية.[1]

وقد فحص باركن" النسق المعياري في المجتمع الحديث انطلاقا من فكرة تباين القيم وتباين مستويات الوعي بين الطبقات في المجتمع وهو يميز بين ثلاثة أنساق يتم من خلالها صياغة القيم وتتجلى في[2]:

- تتميز الجماعات المسيطرة في المجتمع بنسق قيم مسيطر من شأنه صقل الإطار الأخلاقي والأفكار الرائدة للمجتمع.
- نسق قيم الجماعات الخاضعة ينتج رضا بالأوضاع القائمة دون تمرد.
- النسق القيمي الراديكالي يقترح الإطار الأخلاقي البديل في المجتمع على أساس مجموعة مغايرة من المبادئ.

[1] علي عبد الرزاق جلبي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 2، 2005، ص 133.
[2] نفس المرجع ص 133.

وفي ضوء هذه الأنساق عكف "باركن" على مناقشة اللامساواة والإيديولوجية السياسية في المجتمعات الرأسمالية، وركز على الخصوص على الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية (حزب العمال) في "انجلترا" والتي أوكلت إليها مهمة التقليل من حجم اللامساواة، ومن البيانات الإحصائية التي حللها "باركن": نظم الحصول على الوظائف أو ما يعرف بعملية توريث المهن، والنسبة المئوية للأطفال المنحدرين من طبقات عاملة ويزاولون دراستهم بمدارس اللغات، والتغيرات في متوسط الدخل والمكاسب بين الجماعات المهنية خلال فترة زمنية محددة. واستنتج "باركن" أن حزب العمال لم يسهم في تغيير الوضع أو التقليل من حجم الهوة بين الطبقات الاجتماعية.[1]

قارن "باركن" الوضع السالف الذكر بالنموذج الاشتراكي السوفياتي، ومن خلال جملة من المعطيات والبيانات الإحصائية اكتشف بأن "النموذج الاشتراكي" أكثر انفتاحا من المجتمعات الرأسمالية ويستدل بمثال عن ذلك والذي يتمثل في "اللامساواة" أو بتعبير آخر: التناقض بين أنساق السيطرة وأنساق السوق فالمكاسب توزع في ظل النظام الاشتراكي من طرف الجهاز السياسي (نسق السيطرة) أما في المجتمع الرأسمالي فالمكاسب السياسية والاقتصادية والاجتماعية توزع من طرف أنسقة السوق وذلك حسب قانون السوق.[2]

يحيل "باركن" على فكرة أن اللعبة مكشوفة في المجتمع الاشتراكي حيث أنه يمكن للجماعات الخاضعة أن تعرف من هو المسيطر والمسؤول عن تقسيم المكاسب (الجزاءات)

وتكريس اللامساواة، لكن في ظل النظام الرأسمالي فالأيادي الخفية تحقق مصالحها وتدير

[1] نفس المرجع السابق ص 134.
[2] نفس المرجع السابق ص ص 134- 135.

شؤونها بتكتم وسرية تامة.

يمكن القول بأن "باركن" يأخذ بالمنظور الماركسي في تحليله للنظامين الرأسمالي والاشتراكي لكن بطريقة مغايرة نوعا ما للطرح الماركسي.

خلاصة:

من خلال تطرقنا لنظريات الماركسية المحدثة اكتشفنا أبعادا جديدة للصراع الاجتماعي حيث أن الصراع بالمنظور الماركسي يرتبط بالأسس المادية أما لدى "داهرندورف" فيرتبط بالمناصب السياسية غير أن "كوزر" يقرن الصراع بالرغبة في تحقيق المكانة وتولي السلطة و الحصول على الموارد النادرة ويقسمه إلى أنواع: الصراع الواقعي وغير الواقعي والداخلي والخارجي أما "باركن" فينوه بالأطروحة الماركسية التي تنصب على سبر أغوار النظام الرأسمالي.

الفصل الأول: مصادر النظرية الماركسية

المبحث الأول: الفلسفة الألمانية

المبحث الثاني: الاشتراكية الفرنسية الطوباوية

المبحث الثالث: الاقتصاد السياسي الإنجليزي

الفصل الثاني: أسس النظرية الماركسية

المبحث الأول: المادية الفلسفية

المبحث الثاني: المنهج الجدلي

المبحث الثالث: التصور المادي للتاريخ

المبحث الرابع: الطبقات والصراع الطبقي

المبحث الخامس: الاغتراب

الفصل الثالث: الماركسية المحدثة

المبحث الأول: نظرية رالف داهرندروف

المبحث الثاني: نظرية لويس كوزر

المبحث الثالث: نظرية فرانك باركن

مدخل منهجي

مقدمة

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

"قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم"

الآية 31 من سورة البقرة

"سبحانك لا إله إلا أنت ربي إني كنت من الظالمين"

دعاء يونس – عليه السلام – في بطن الحوت

" اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إن نجحت ولا باليأس إن فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح "

"اللهم علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة، وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف"

"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها"

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا يليق بعظيم أسمائه، شكرا يليق بجميل آلائه

والصلاة والسلام على محمد نبي الهدى وعلى آله وصحبه أجمعين

أتقدم بالشكر الجزيل إلى والدتي على دعمها لي في مشواري الدراسي

أتقدم بالشكر الجزيل لمن شرفنا بتأطيره لنا في مذكرة التخرج الأستاذ "مخلوف بشير"

"سنوسي"

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع :

إلى من فرقتنا عنهم الحياة وستجمعنا بهم الآخرة - بإذن الله- جدي الشيخ وخالي الحاج وخالتي الزهرة وخالي لخضر - رحمهم الله-

إلى من أفنت شبابها لرعايتنا جدتي فاطمة

إلى والديا العزيزين أمي و أبي

إلى إخوتي: محمد وحسين وأكرم

إلى كل أقاربي دون استثناء

إلى عائلة يعقوب أسامة

إلى زملائي في تخصص فلسفة الاتصال ونظريات الترجمة

إلى أساتذة قسم الفلسفة

إلى موظفي القسم الفرعي للموارد المائية لدائرة بلل

إلى كل من جاد علينا بالكلمة الطيبة

إلى كل من يتصفح المذكرة الآن

إلى كل من تذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلمي

"سنوسي"

الفهرس

قائمة المراجع

باللغة العربية:

01/ أبو زيد أحمد سليمان، نظرية علم الاجتماع : رؤية نقدية راديكالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.

02/ أبو طاحون عدلي، في النظريات الاجتماعية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ب ت.

03/ ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب المقدمة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2000.

04/ الجندي أنور، سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة- الجزائر، ب ت.

05/ الحوات علي، النظرية الاجتماعية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1996.

06/ الحوراني محمد عبد الكريم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المجدلاوي للنشر، الأردن، 2008.

07/ إنوود ميخائيل، معجم مصطلحات هيغل، ترجمة إمام عبد الفتاح، المركز المصري العربي، 2000.

08/ باجيني جوليان، الفلسفة، ترجمة أديب يوسف شيش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 2010.

09/ بدوي السيد محمد، علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2004.

10/ بليخانوف، فلسفة التاريخ: المفهوم المادي للتاريخ (WWW.BOOKS STREAM.COM)

11/ بوجلال مصطفى، علم الاجتماع المعاصر بين الاتجاهات والنظريات، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2015.

12/ بوليتزر جورج وجي بيس موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية، الجزء الأول، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ب ت.

13/ جلبي علي عبد الرزاق ، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 2، 2005.

14/ جندلي عبد الناصر، تقنيات ومناهج البحث العلمي في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 2010.

15/ زايتلن إرفنج، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة و إبراهيم عثمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.

16/ زايد أحمد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، 2005.

17/ ساقور عبد الله، الاقتصاد السياسي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة- الجزائر، 2004.

18/ ستالين جوزيف،المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة خالد بكداش ، دار دمشق للطباعة والنشر، 2007.

19/ فروم إيريك، مفهوم الانسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1998.

20/ فيورباخ لودفيغ، أصل الدين، ترجمة أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991.

21/ عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيغل: دراسة لمنطق هيغل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 2007.

22/ كعباش رابح، الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، مخبر علم اجتماع الاتصال، قسنطينة- الجزائر، 2007.

23/ كيلوتش غراهام، تمهيد في النظرية الاجتماعية: تطورها ونماذجها الكبرى، ترجمة محمد السعيد فرج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

24/ لوميل يانيك، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجين الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008.

25/ ليلة علي، النظرية الاجتماعية المعاصرة:الأنساق الكلاسيكية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2004.

26/ ماركس كارل وفريدريك انجلز،الإيديولوجية الألمانية : مصادر الاشتراكية العلمية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، ط1، 1976.

27/ ماركيوز هربرت، العقل والثورة:هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، ط 1، 2008.

28/ معن خليل معن، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.

29/ هيلبرونر روبرت، قادة الفكر الاقتصادي، ترجمة راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2002.

باللغة الفرنسية:

01/ Cozer louis, les fonction du conflit social , traduit par matigman , paris , edition p.u.f , 1992.

02/ Dictionnaire Larousse, Paris, France, 2013.

خـاتـمـة

من خلال تطرقنا للنظرية الماركسية اكتشفنا أن لها أصولا متجذرة في تاريخ الفكر البشري تجمع بين الفلسفة الألمانية والاشتراكية الفرنسية والاقتصاد الانجليزي، وشكلت هذه المنطلقات الفكرية ملامح النظام الاشتراكي الذي أسسه "كارل ماركس" باعتباره فيلسوفا وعالم اقتصاد وعالم اجتماع ومؤرخا، وصاغ مذهبا فلسفيا يعكس تصورا ماديا للمجتمع والتاريخ أثر في المفكرين الذين أعقبوه والذين أسسوا ما يعرف بالماركسية المحدثة التي ركزت على مبدأ الصراع الاجتماعي الذي احتفى به "ماركس" إلى درجة أن هناك من اعتبره مؤسسا لعلم الاجتماع الصراعي، أو ما عرف بعلم الاجتماع الماركسي ولعل انفتاح العالم على معسكرين وتأسس ثنائية قطبية إيديولوجية يعكس مدى قوة ورصانة التصور الماركسي، وبالتالي صار يندرج ضمن الاتجاه اليساري في مختلف الدول التي انتهجت النظام الرأسمالي كنظام اقتصادي وسياسي بالدرجة الأولى فحتى الولايات المتحدة الأمريكية التي حاربت الفكر الماركسي السائد في الاتحاد السوفياتي، لم تستطع دحر توجهات المفكرين الأمريكيين المتشبعين بالفكر الاشتراكي ورغم انهيار الكتلة الشرقية، إلا أن العديد من الدول تبنت النظام الاشتراكي في سياساتها ولحد الآن تظل بعض المفاهيم الماركسية مبهمة نظرا لاختلاف التأويلات لدى أنصار الفكر الماركسي فماركسية "لينين" ليست هي ماركسية "ستالين" فكل يؤول حسب مصلحته وإيديولوجيته فالنظرية الماركسية شيء وتطبيقها شيء آخر وباعتبارنا طلبة علم وجب علينا البحث والتنقيب والتحليل بغية فقه النظم السياسية

والاقتصادية التي تحكم العالم وتحدد موازين القوى في ظل الدعوة إلى تأسيس نظام عالمي جديد والذي انبثق عنه مفهوم العولمة.